مطبوعات مكتبة مصر

ابراهيم باشا

مسرحية في ثلاثة فصول

ومسرحيتان أخريان

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

مكان الرواية : مصر وسوريا والأناضول

زمان الرواية : أوائل القرن التاسع عشر

أشخاص المسرحية

إبراهيم باشا	بطل المسرحيّة
بشير الشهابى	أمير جبل لبنان
الكولونيل سيف	سليمان باشا الفرنساوى
سرحان	فارس نجدىّ جعله إبراهيم باشا فى حرسه الخاص
صابر	جاسوس متملق من جواسيس الدولة
نعمان	قتل أبوه بأمر إبراهيم باشا لمناصرته لعبد الله باشا والى عكاء
ثامر	أخو نعمان
زيد وخالد	ابنا عم نعمان .
الأمير عباس باشا	ابن أخى إبراهيم باشا
أحمد بك المنيكلى	من قوّاد إبراهيم باشا

رشيد باشا	الصدر الأعظم قائد جيوش السلطان
مصطفى بربر	من زعماء الشام
الطبيب	طبيب إبراهيم باشا الخاص ومساعداه

جماعة من أبناء عمومة نعمان

ضباط وجنود مصريون وحجاب

فتى سورى متظلم من أحد الجند

الفصل الأول

فى قصر إبراهيم باشا بالجيزة – فى قاعة الاستقبال – قاعة كبيرة مستديرة على جدرانها نقوش فنية وكلها مفروش بالسجاد الثمين – تمتد على جوانبها أرائك مفروشة بالمخمل الأخضر وفوقها وسائد مبطنة بالحرير . للقاعة بابان أحدهما من جهة اليمين وهو الباب الذى يدخل منه الضيوف من الخارج والآخر على يسار المسرح وهو يصل القاعة بسائر القصر .

يرى إبراهيم باشا جالساً على الأريكة فى صدر المسرح وهو يدخن الشيشة وينفث دخانه فى هدوء وينظر إليه وهو يتصاعد فى الهواء نظرة الحالم . ويبدو مدة كأنه مستغرق فى فكر عميق .

إبراهيم : (**كأنه يحدث نفسه**) أترى الأيام تحقق هذا الحلم الجميل ؟ مصر وفلسطين والشام والرافدان ونجد والحرمان الشريفان والمغرب من أدناه إلى أقصاه والسودان وأرض اليمن . شعب واحد ينطق بلسان واحد ويسير إلى هدف واحد . أبشرى .. أبشرى يا مصر ، ستكونين فخر الشرق وحاضرة الأمم العربية . إن الوطن العربى الأكبر يتأهب اليوم كىّ يستيقظ من نومه الكهفىّ الطويل . أتراه يقوم على ساعدى فينزلنى التاريخ مكاناً ما ناله قبلى هارون الرشيد ؟

(يدخل الحاجب ويقف دون الباب منحنياً)

إبراهيم : (**يلتفت إليه**) ما وراءك .. هل قدم الضيف ؟

الحاجب : نعم يا مولاى.

إبراهيم : أئذن له بالدخول .

الحاجب : سمعاً يا مولاى.(يخرج)

(يضع إبراهيم شيشته وينهض من أريكته حتى يقف قرب الباب)

(يدخل الأمير بشير الشهابى أمير لبنان)

بشير : السلام على مولاى الباشا.

إبراهيم : (**يصافحه بحرارة**) وعليك السلام ورحمة الله .. مرحباً بالصديق العزيز . تفضل .

(يأخذ بيده حتى يجلسه على الأريكة بجانبه)

بشير : شكرا يا مولاى الأمير . كيف حالك وكيف حال مولانا الوالى — أيده الله .

إبراهيم : بخير ولله الحمد . وكيف أنت يا أمير الجبل ؟

بشير : لا أحسب حالى يسرك يا مولاى فلم يزل حال المعزول الطريد كما عهدتنى مصر منذ تسع سنين .

إبراهيم : أمّا أنك كنت معزولا فهذا حق ولكنى أشك أنك كنت طريدا فى وادى النيل الذى كان سعيدا بإيواء مثلك .

بشير : صدقت يا سيدى . ما كنت طريدا بمصر فقد كادت تنسينى بلدى مما بالغت فى إكرامى والحفاوة بى . إنى عاجز عن شكر أيادى أبيك العظيم وأياديك .

إبراهيم : لم نفعل سوى ما أنت أهل له يا أمير الجبل .

بشير : والله لقد ضمّدتم جراحى إذ ذاك وأشعرتمونى أنّ لنا أبناء

العرب بمصر ملاذا من الجور الأعجميّ .

إبراهيم : لا تنس أننا كلنا فى معاناة هذا الجور سواء .

بشير : بل مصر أسوأ حالا منا لقوتها بالقياس إلى ضعفنا .. أوليس عجبا أن تبقى مصر تابعة للقوم ولا نخشى دولة القوم إلّا بقوة مصر ؟ قد يهون القيد على المستضعف أما القويّ فلا .

إبراهيم : (**يطرق هنيهة ثم يرفع رأسه**) إى والله يا صديقـــى ما عدوت الحق

بشير : ليت شعرى متى تتخلص أقطارنا من هذا النّير الثقيـل ؟ (يتنهد) ويلهم .. نفونى من أرض آبائى .

إبراهيم : أما زلت تذكر هذا النفى وقد رجعت إلى بلادك ؟

بشير : هل رجعت إلى بلادى إلا بشفاعة أبيك حفظه الله ؟ وهل أقمت بها إلا ذليلا منذ ذلك اليوم ؟

إبراهيم : لن يطول مقامك فيها على ذل طاعتهم حتى نستنقذها منهم ونشردهم عن حدود بلاد العرب . إن مصر والشام لصنوان يكمل أحدهما الآخر منذ عهود الفراعنة السابقين لا يستغنى واحد منهما عن أخيه .

بشير : ليت هذين البلدين يتحدان تحت ظلكم .

إبراهيم : بل أذهب إلى أبعد من ذلك يا صديقى . إن هذه الشعوب التى تتكلم بالعربية من أقصى السودان إلى طوروس ومن بحر الظلمات إلى البحر العربى وشط العراق لمن حقها أن لا تبقى هكذا متناكرة تحت هذا الحكم البغيض . لا بد لها من يوم تعرف فيه سؤددها المسلوب وتجمع فيه الأمر فويل يومئذ

للطغاة المستعبدين .

بشير : ما أعلى همتك يا سيدى وأبعد مرماك .

إبراهيم : إنّا لن نغلب من قلة أبداً . فنحن اليوم لا ننقص عن أمة النمسا أو شعب فرنسا أو الأمة الإنجليزية . ولدينا من تاريخنا القوميّ ومن روح الإسلام ومثله العليا ما يجعلنا قوة لا تقوم لها قوة فى الأرض .

بشير : ليتكم ما قضيتم على الوهابيّين بنجد ، إذن لعسوا أن يكونوا عونا لكم فى هذا الأمر . فقد كانوا شوكة أخرى فى جنب السلطان فانتقشها بكم . سلّطكم عليهم ليقضى عليهم ثم عليكم .

إبراهيم : إن ما قلته لصحيح ولكنا كنا فى ظروف قاهرة حملتنا على إرضاء السلطان من جهة وعلى تحقيق سلامة مصر من جهة أخرى . وأنا المتحسر بعد على ما حل بهم منى .

بشير : أو يا ليتكم إذ قضيتم عليهم عفوتم عن أميرهم عبد الله بن سعود فما كان جديرا أن يساق إلى القوم ليصلبوه ويمثّلوا به .

إبراهيم : كنا نظن القوم أكرم من أن ينالو من خصم قد دان لهم وأتاهم ضيفا عليهم ، وما دار بخلدنا أنهم يرفضون شفاعتنا فى ذاك الأمير الشهم . ولكن ليس هذا بأول رجاء خاب لنا فى هذا السلطان . والله لضاعف مقتل عبد الله كراهيتى لهم . والله لأنتقمنّ له منهم .

بشير : نعم الأخ ينتقم لأخيه .

إبراهيم : أجل كان عبد الله عزيزا علىّ . ولو رأيتنا وقد تصافحنا بعد

القتال وتصافينا بعد العداء لرأيت عجبا . كان — رحمه الله — يزورنى ويسمر عندى فى المخيم فنحتسى القهوة العربية معا ونتذاكر فى شئون البلاد العربية وتوحيدها فيشتعل حماسة ويحرضنى على الثورة والاستقلال ويدعو لى بالنجاح . وما أنس من الأشياء لا أنس قوله لى (**إنا لم نألك يا إبراهيم قتالا . ولكن لعلّ الله اختارك لتقوم بهذا الأمر**) .

بشير : كيف وجدت يا سيدى أبناء نجد ؟

إبراهيم : لم أر فى حياتى أشجع ولا أكلب على القتال منهم ، وإن نساءهم ليقاتلن معهم ويحرضن الرجال فيستميتون فى القتال . وما شهدت امرأة أشجع ولا أعقل من غالية الوهابية . وإن ابنها اليوم لعندى .

بشير : ابنها هنا فى مصر ؟

إبراهيم : نعم ، بعثته أمه إلىّ من نجد ليقاتل معى لما بلغها عزمى على غزو الشام .

بشير : ما سمعت حديثاً أعجب من هذا .

إبراهيم : أتحب أن تراه ؟

بشير : لو تكرمتم يا سيدى .

(إبراهيم يدق جرساً عنده) (يدخل الحاجب) .

الحاجب : مولاى .

إبراهيم : ابعث من يدعو لى سرحان النجدى .

الحاجب : سمعا يا مولاى (**يخرج**).

إبراهيم : إنه شاب شجاع سيعجبك ، وقد بلوته فوجدته ممن يوثق به.

بشير : ولكن كيف بلغ أم هذا الشاب عزمك على غزو الشام ؟

إبراهيم : لهذا حديث طريف يا بشير . جاءتني غالية يوماً بابنها هذا وهو غلام أثناء مقامي بنجد فقالت لي « هذا ابني الوحيد قد وهبته لك ليجاهد معك في سبيل العرب » فشكرتها وقلت لها أبقيه لديك حتى يشتد ساعده . فما زال هذا الغلام يكاتبني من يومئذ حتى استقدمته فقدم من نجد .

(يدخل الحاجب)

الحاجب : بالباب حضرة الكولونل سيف يا مولاي .

إبراهيم : ليدخل فإنا في انتظاره (يخرج الحاجب) قد بعثت إليه ليراك يا أمير الجبل .

(يدخل الكولونل سيف)

سيف : السلام عليكم .

إبراهيم : وعليك السلام . أهلا بصديقي سليمان .

سيف : لعلي جئت في الوقت المطلوب يا مولاي .

إبراهيم : لا شك فأنت ممن يحافظون على مواعيدهم بالدقيقة (للأمير بشير) أيسرك يا صديقي أن تعرف قائدنا الفرنسي المسلم ؟

بشير : الكولونل سيف يا سيدي ؟

إبراهيم : نعم .. أتعرفه ؟

بشير : قد سمعت به . وبخبرته الحربية .

إبراهيم : الأمير بشير الشهابي أمير جبل لبنان يا كولونل.

سيف : (يصافح بشيراً) أهلا .. تشرفت يا أميري .

(يجلس سيف إلى جانب بشير)

إبراهيم : سيكون الكولونل سيف عوناً لنا على فتح سوريا إن شاء الله . أليس كذلك يا سيف ؟

سيف : أنا طوع يمينك يا مولاى .

بشير : سيف ماض فى خير يمين !

إبراهيم : إنه يا بشير ليؤمن كل الإيمان بالوحدة العربية .

بشير : أتراها ممكنة يا جناب القائد ميسورة ؟

سيف : هى يا سيدى حركة طبيعية لا يعوزها إلا حسن التدبير وصدق العزم لتبرز من عالم التفكير إلى عالم الواقع . مازلت بها مؤمناً مذ سمعت النسر الفرنسى نابليون يقول بها .

بشير : عجباً .. هل كان نابليون يقول بالوحدة العربية ؟

سيف : نعم لقد رأى نابليون ببصيرته النافذة أن هذه الدولة لا بد من شطرها شطرين وأن بلاد الضاد لأحرى أن يستقلّ بها ملك عربى . وأن محمد على باشا هو أولى الناس بهذا الأمر . سمعته يقول هذا بأذنىّ هاتين .

(يدخل سرحان)

سيف : (يلتفت إليه) وهذا الفتى النجدىّ دليل حىّ على إمكان وحدة العرب .

سرحان : السلام عليكم ورحمة الله .

سيف : وعليكم السلام ورحمة الله .

سرحان : هل دعوتنى يا مولاى ؟

إبراهيم : نعم يا سرحان ، دعوناك لترى ضيفنا العزيز أمير جبل لبنان .

سرحان : (**يصافح إبراهيم باشا فالأمير بشير فسيف**) (**للأمير بشير**) أهلا بك يا سيدى .

بشير : مرحبا بك يا بنىّ . هنيئاً لك إعجاب سيدى الباشا بك وثقته فيك .

سرحان : شكراً لك يا سيدى ، إنى لفخور بثقة مولاى إبراهيم.

إبراهيم : تفضل يا سرحان اجلس .

سرحان : (**يجلس**) شكراً يا مولاى .

إبراهيم : أين كنت يا سرحان ؟

سرحان : كنت فى تدريب الجيش يا مولاى .

إبراهيم : (**لسيف**) أأنت راض عن سرحان يا سيف ؟

سيف : كل الرّضى يا مولاى ، لكأنه يتعلّم الفنون العسكرية بالغريزة وهو اليوم أمهر رام وأكبر فارس .

إبراهيم : لا غرو فقد ارتضع الشجاعة والفروسية من أمه البطلة، (**يلتفت إلى سيف**) كيف سارت شئون التدريب يا سيف ؟

سيف : سيراً حسنا يا مولاى .

إبراهيم : كيف ترى الجندىّ المصرىّ يا سيف ؟ هل ينقص فى شىء عن الجندىّ الأوربىّ .

سيف : كلا يا مولاى بل هو أصلب عودا وأصبر منه وأطوع .

إبراهيم : أوَ ما تلقى عنتا فى التّدريب الحديث ؟

سيف : كلّ مستحدث صعب ، لكن كلّ صعب يا مولاى على الأيّام يهون .

إبراهيم : أتصدق ما قيل إنّ وداعة سكان الوادى لا تهيئهم للحرب ؟

سيف : لا يا مولاى فما هو إلا بهتان وزور . أوَ لم يطرد أحمس الهكسوس بهم ؟ أوَ لم يستولوا على الشام حتى أعالى الفرات ؟ أو لم يدفعوا هجمات التتار عن الشرق العربىّ ؟ أوَ لم يقفوا سدا فى وجوه الصليبيّين ؟ إنما فقدوا الروح الحربيّة واستخذوا منذ خضعت مصر للملوك آل عثمان .

إبراهيم : ليت شعرى متى نستغنى بأبناء مصر عن عصابات الأكراد وفرق الأرنؤوط ؟

سيف : سترى قريبا منهم ما يسرّك يا مولاى .

إبراهيم : أوَ لست ترى أنّ الترك أشجع فى المعمعان وأمضى على الأهوال ؟

سيف : إن الجندىّ المصرىّ لشجاع ، ولكنه ليس بالعتلّ الذى يستمدّ شجاعته من غلظته وبلادة حسّه . وقد أعلنت حملته البحرية إلى اليونان كفايته وكفاية أسطوله للعالم أجمع .

بشير : لقد كان الغرم على مصر تلك الحملة اليونانية وكان الغنم للسلطان كدأبه . فلو كنتم رفضتم أن تعينوه فى الحرب اليونانية وغزوتم سوريا إذ ذاك استنجازا لسابق وعده لكان ذلك خيراً لمصر وللعرب .

إبراهيم : ولكن لا تنس يا أمير الجبل أن الشهامة الإسلامية تأبى علينا أن يستنجدنا السلطان على العدوّ المشترك فلا ننجده — بله أن نغتنم الفرصة فنطعنه من الخلف .

بشير : صدقت يا أمير النيل ولكنه لم يف بوعده لكم . ولا يستحق

النصرة من لا يوفى بالعهود .

إبراهيم : أجل ، بيد أنه وعدنا حينئذ مرة ثانية بضم الشام إلينا إذا نصرناه على اليونان ولم نكن قد يئسنا إذ ذاك من وفائه بالوعد .

بشير : واليوم ؟

إبراهيم : أما اليوم فليس بيننا وبينه إلا القتال حتى يفى لنا بما وعد .

سيف : هل لى أن أقول كلمة بصدد الحملة اليونانية ؟

إبراهيم : قل ما تشاء يا كولونيل .

سيف : أريد أن أقول إن مصر وإن خسرت فى تلك الحملة ماديا فإنها لم تخسر أدبيا بل أستطيع أن أقول إنها ربحت .

إبراهيم : نعم قد أفدنا منها أن عرف الأشهاد بطولة جيشنا ورأوا بأسه فى تلك الميادين .

سيف : وكان النصر معقودا بلواء المصريين لو لم تقف دول الغرب فى صف اليونان .

إبراهيم : (يتنهد) ويل للدول الغربية . ما أحلى وعودها لنا وما ألهجها بصداقتنا ما احتاجت إلينا حتى إذا اشتبكنا مع إحداها تألب سائرها علينا ونبذت ما بيننا وبينها من الصداقة وراء ظهرها .

بشير : أما زلتم ترجون يا سيدى أن يفى السلطان لكم بوعده ؟

إبراهيم : لا أرجو ذلك فقد طالما نصحناه وهددناه فلم ينفع فيه النصح ولا التهديد .

بشير : إذن فماذا تنتظرون ؟

إبراهيم : لا ننتظر شيئا إلّا إعداد جيشنا واستكمال عدده وقد فرغنا من ذلك أوكدنا وما استقدمناك من بلادك إلّا لنرى رأيك في هذا الأمر .

بشير : أما من جهتى فما أظنكم تشكون أننى سأنصركم بكل ما أملك من حول وقوة . إنى أعدك يا سيدى وعدا جازما بأن الجبل كله سيكون معكم على عدوكم .

إبراهيم : شكراً لك يا بشير . لا شك عندنا فى نصرتك ولكنا نريد نصرة الآخرين .

بشير : إنك تعلم يا سيدى أن الشام كله يئن من ظلم الدولة وجور ولاتها وأن مجيئكم فرج لهم،فلا ريب أنهم سيكونون عونا لكم على حكامهم الظالمين .

إبراهيم : ما رأيك فى قبائل بادية الشام ؟

بشير : هؤلاء خير من يستنصر بهم على الدولة لقسوتها فى معاملتهم فلن يكادوا يسمعون بمقدمكم لمحاربتها حتى يعرضوا أنفسهم للقتال معكم وناهيك بشجاعتهم وبلائهم فى الحرب .

إبراهيم : اذكر لى بعض القبائل الثائرة على الدولة هناك .

بشير : جميع قبائل البادية فى حكم الثائرة على الدولة إلّا أن بعضها أشد عليها من بعض .

إبراهيم : أيها أقوى وأشد شكيمة على الدولة ؟

بشير : لعلها قبيلة عنزة .

إبراهيم : أهى التى يدعى شيخها الشيخ عزّام الفائز ؟

بشير : هى بعينها يا سيدى . لكأنك تعرفها وتعرف شيخها .

إبراهيم : نعم جاءنا كتاب من هذا الشيخ يعرض علينا فيه نصرته ونصرة قبيلته .

بشير : ثق بهؤلاء فإنهم موتورون من الدولة حاقدون عليها منذ حصل بينهم وبينها خلاف فانتقمت منهم ومثّلت بهم تمثيلا فظيعا كاستلال ألسنتهم وجدع أنوفهم . فإذا أعطى لهؤلاء السلاح والذخائر فسيكونون وبالا على جيوش الدولة .

إبراهيم : ما رأيك فى هؤلاء يا سيف ؟

سيف : لا شك أن هؤلاء سيكونون عونا كبيرا لنا ففى وسعهم أن يقوموا بمناوشات قيمة ويوقعوا الاختلال فى صفوف العدوّ ويتعرضوا للقوافل التى تحمل مؤنه وذخائره .

إبراهيم : أجل .. لا غنى لنا عن هؤلاء .

سيف : ولكن مسألة المسائل هى عكاء .

إبراهيم : إن الكولونل سيف كثير الاهتمام بعكاء يا بشير .

سيف : أعذرنى يا مولاى إذا أكثرت الاهتمام بها فهى العقبة الكبرى التى ستقوم فى سبيلنا فإذا ذللناها دان لنا الشام أجمع .

بشير : حقا إنها لمدينة منيعة وإن صاحبها ليحتمى منها بجبهة الأسد، فحبذا لو استطعتم الاتفاق معه .

سيف : يا ليت ذلك يكون . إذاً لكفينا هذه العقبة وكان ما وراء ذلك يسيرا علينا .

إبراهيم : لعلك تستطيع استمالته إلينا لما بينك وبينه من الصداقة القديمة يا بشير أما نحن فقد ذهبت جهودنا فى استمالته سدى . وناهيك بالمساعدة التى قدّمها له سيدى الوالد حين شفع له

عند السلطان لما غضب عليه وأقرضه والدى تلك الغرامة الكبيرة التى فرضها عليه السلطان ... ولكن عبد الله كفر النعمة وأنكر الجميل .

بشير : ألم يسدّد القرض الذى عليه يا سيدى إلى اليوم ؟

إبراهيم : كلا لم يسدده ولن يسدده . ومما زاد غضب والدى عليه أنه رفض ما طلبه منه من إعادة الفلاحين المصريين الذين جمعهم من الصعيد للعمل عنده فهدده والدى بأنه سيذهب بنفسه لأخذ الستة آلاف من الفلاحين زائداً عليهم رجل واحد .

بشير : (**يضحك**) يعنى بالرجل الواحد عبد الله باشا نفسه ؟

إبراهيم : (**يبتسم**) نعم لا يعنى غيره .

بشير : ما رأيكم لو كلمت عبد الله باشا فى الاتفاق معكم على أن تسامحوه فى القرض الذى لكم عليه وفى الفلاحين المهاجرين عنده وتضمنوا له البقاء فى ولاية عكاء ؟

إبراهيم : أما القرض فلا أحسب سيدى الوالد يتشدد فيه تشدده فى إعادة الفلاحين المهاجرين وسآخذ رأيه فى ذلك ، وأما ضمان البقاء له فى ولاية عكاء فقد عرضنا عليه ذلك من قبل فأبى .

بشير : سأعرج عليه فى طريقى عائداً إلى لبنان وأكلمه فى جميع ذلك وأكتب إليكم بما يكوّن منه .

إبراهيم : افعل وإن كنت لا أظن أن والى عكاء يرجع إلى صوابه إلا بالشدة .

بشير : إذا لم يرجع إلى صوابه الآن فسيرجع إلى ذلك حين يرى قواتكم تسير إليه .

سيف : إنه سيكلفنا ضرب الحصار عليه من البر والبحر وبدون ذلك لا يمكن سقوط عكاء وهذا يقتضى زمناً طويلا .

إبراهيم : إن العزيمة الصادقة لتقصر الزمن الطويل .

سيف : لقد عودنا عزمك يا مولاى أن يذلل لنا المصاعب .

إبراهيم : على الله اتكالنا وهو ناصرنا بحوله وقوته إن شاء .

بشير : أؤكد لك مرة أخرى يا سيدى الباشا أن الشام كله سيكون معكم ، وإنى سأقوم لكم بكل ما أستطيع من الواجب ، وعسى أن يقدرنى الله على خدمتكم بما يرضيكم .

إبراهيم : ذلك الظن بك يا صديقنا العزيز .

سيف : قد عنت لى فكرة يا مولاى هى أن تبعثوا هذا الشاب الجندى ليرافق الأمير بشير إلى سوريا ولبنان فيستأنس بطبيعة تلك البلاد ويعرف مواقعها فربما نحتاج إلى خبرته بذلك فى المستقبل .

إبراهيم : لا بأس بذلك عندى إذا لم يثقل على الأمير بشير .

بشير : يثقل علىَّ ؟ كلا يا سيدى الباشا . إنه سيكون لى نعم الرفيق فى السفر ونعم الضيف .

إبراهيم : أتحب يا سرحان أن ترى قبلنا تلك البلاد ؟

سيف : كيف لا يسر سرحان بذلك ؟ إنها ستكون سياحة ممتعة فى تلك البلاد الجميلة .

إبراهيم : إذاً فليذهب سرحان معك يا أمير الجبل . ولست بحاجة إلى أن أوصيك به فهو عزيز علىَّ .

بشير : اطمئن من قبله يا سيدى فسيرى منى كل بر ورعاية .

إبراهيم : (**يلتفت إلى سرحان باسماً**) احذر يا سرحان أن تنسيك بلاد الشام مصر .

سرحان : إن مصر لم تنسنى نجداً يا مولاى فلن ينسينى الشام مصر .

(**يدخل الحاجب فيدنو من إبراهيم باشا فيساره بحديث**)

إبراهيم : (**للحاجب**) دعه يدخل . (**ينطلق الحاجب**) (**ثم لبشير**) سترى جاسوساً من جواسيس الدولة وهم فينا كرجال النفاق بعهد الرسول عليه السلام ، يشون بنا ويذيعون أسرارنا للقوم وليس لنا من سبيل لتأديبهم . أوه من هذا النير أوه ! متى نرميه متى نلقيه ؟

بشير : قريبا نخلعه عن أعناقنا بيدك .

إبراهيم : إن شاء الله .

سيف : إن شاء الله .

(**يدخل صابر بك ويحيى إبراهيم منحنياً حتى يكاد يقبل الأرض**)

صابر : سيدى .. مولاى .. أميرى .. صباح الخير .

إبراهيم : مرحباً بك يا صابر . تفضل .

صابر : (**يجلس بين إبراهيم باشا وبين سرحان**) شكــراً لك يا مولاى للطفك يا مولاى بعبدك يا مولاى .. بموطئ نعلك يا مولاى . لقد حضر العبد المملوك إليكم يا مولاى ليرفع أسمى تهانئه القلبية إلى أعتاب جنابكم الفخم يا مولاى بمناسبة إنعام مولانا السلطان عليكم بأمارة مكة يا مولاى وأنتم يا مولاى جدير بهذا العطف الشاهانى الأكبر وبهذه

الرتبة التى لم ينلها أىٌّ سواكم فى جميع أنحاء المملكة العثمانية .

إبراهيم : إن هذه التهانىء أولى بها أن توجهها لأبى فهو أولى بها منى إذ له فضلها لا لى .

صابر : لا بل لكم يا مولاى لما وضع مولانا السلطان من الثقة العظمى فيكم يا مولاى ، ولما لاح له من بطولتكم العليا وكفايتكم الكبرى فى كل الشئون التى نيطت بكم ، فضلا عن ماضى عزمكم يا مولاى وكامل إخلاصكم لمولانا السلطان .

إبراهيم : حسبك يا صابر . إن هذه الرتبة أو غيرها مما هو أعظم منها إذا أسندت لى فقد أسنِدت لأبى .. إنى لا أملك فضلا إلا ما تحدر منه إلىَّ ، وإذا ظن بعض الناس أن هذا يثير التنافس بين الولد البر وبين أبيه العظيم فقد ضلوا والله ضلالا بعيداً .

صابر : عفا الله عنكم يا مولاى فيما أسأتم بى الظن .

إبراهيم : قد علمت أنك نقَّالُ الأحاديث فانقل حديثنا هذا إلى من تشاء .

صابر : إنما جئت للتهنئة يا مولاى .

إبراهيم : بم تهنئنى ؟ أتظن أن أمارة مكة ترضينى عن سلطانك ؟ لا والله حتى ينصف والدى ويعطيه حقه كاملا غير منقوص شيئاً . وإن لم يفعل فإن السيف الذى سل من أجله فى نجد مازال فى كفى لأبزَّ به سوريا من يده .

صابر : أعيذك بالله أن تعصى السلطان يا مولاى .

إبراهيم : إنى لا أعصى سلطان مصر ، فأما سلطان اسطنبول فإن يعصنا نعصه .

صابر : عفواً يا مولاى إذا قلت إنك شديد الوطأة على قومك .

إبراهيم : (مغضباً) يجب أن تتروى فيما تقول يا صابر ، فما هؤلاء الذين تذكرهم بقومى وإنما قومى العرب . إنى لست تركياً فقد جئت إلى مصر صبياً . حيث مصّرتنى شمس الوادى وأحالت دمى فجرى فى عروقى دماً عربياً .

(ستـــار)

الفصل الثاني

فى ضاحية من ضواحى عكاء ــ فى قصر اتخذه إبراهيم منزلا له أثناء محاصرته الطويلة لمدينة عكاء يتصل به ــ مما يلى عكاء ــ المعسكر المصرى الواقع وراء القصر . يظهر جزء من رواق القصر ويقع على يمينه الجانب الذى فيه غرفة نوم إبراهيم باشا على ارتفاع قليل من أرض الرواق . ويرق إليها بسلم يفضى إلى دهليز صغير يوصل إلى الغرفة ولهذا الدهليز شباك يطل على الرواق . الوقت ــ فى النصف الأخير من الليل ــ

يظهر أمام القصر من جهة اليسار ثامر وزيد وثلاثة آخرون من أبناء عمومة ثامر .

ثامر : اخفضوا أصواتكم كيلا يسمعكم أحد .

زيد : لم يجئ نعمان بعد لزيارة صديقه سرحان .

ثامر : أخشى أن يكون أملنا قد ضاع فى نعمان وأن الصداقة التى تظاهر بها لسرحان ليتوصل بها إلى قتل إبراهيم قد أصبحت صداقة حقة تمنعه أن يخون سرحان بقتل مولاه .

زيد : لا شك عندى فى هذا ، فقد نسى نعمان ثأر أبيه وافتتن بهذا النجدى اللعين .

أحد الثلاثة : ما أرى إلا أنكما ظلمتما نعمان ، فما مثله من ينسى ثأر أبيه .

زيد : فما منعه إلى اليوم إذاً من إنجاز مهمته وهو يسمر كل ليلة مع سرحان فى هذا الرواق إلى الهزيع الأخير من الليل على بضع خطى من الغرفة التى ينام فيها إبراهيم باشا ؟

ثامر : ليس ببعيد أن يكون سرحان أقنعه بما يسعى إليه إبراهيم باشا من إحياء الدولة العربية القديمة بضم بلاد العرب كلها تحت لواء واحد ، فلم يجئ هذا النجدىّ من بلاده إلا ليجاهد فى سبيل هذه الفكرة .

أحد الثلاثة : ولكن نعمان كان يعرف هذا من سرحان وهو إنما نجح فى الاتصال بسرحان واكتساب ثقته ومودته حين أوهمه بأنه عربى ثائر على الدولة من طرابلس الغرب . فكيف يجوز أن ينخدع نعمان وهو على بصيرة من حقيقة سرحان ؟ إن هذا لبعيد .

ثامر : إنى أعرف منك بشقيقى نعمان فهو شديد التأثر سريع التقلب .

أحد الثلاثة : ولكنه كان أشدكم جميعاً حزناً على أبيه وحقداً على قاتله وقد أقسم ليقتلن إبراهيم ولو قتل فى ذلك .

زيد : لا تصدقه ولو أقسم ألف يمين فإنما هو جبان يهاب القتل ولو كنت فى مكانه لبدأت بسرحان ثم ثنيت بإبراهيم .

ثامر : أتتّهم نعمان بالجبن ؟ والله إنك لأنت الجبّان . فقد أمكنتك الفرصة بوادى الزراعة بعد اندحار الترك إذ انفرد الغازى إبراهيم باشا عن فرسانه فأضعت الفرصة من جبنك .

زيد : لم يكن الغازى منفرداً يومئذ يا ثامر . بل كان سرحان يراقبه من محل غير بعيد وقد ألقى نظرة كالسهم إلىَّ حسبت بها أنه كان يعرف مضمر قصدى . فما كان منى إلا أن حدت عن وجهه كيلا يرتاب بأمرى .

ثامر : ماذا تخشى من ارتيابه بأمرك وقد أوشكت أن تبلغ غايتك ؟

زيد : خشيت أن أفسد عليكم الأمر .

ثامر : فلقد أفسدت علينا الأمر بإضاعتك الفرصة .

زيد : لو كنت فى موضعى لما صنعت أكثر مما صنعت .

ثامر : كذبت ! لو كنت فى موضعك لحملت عليه فألحقته بأبى !

زيد : أتظن الفتك بإبراهيم أمراً هيناً يا ثامر ؟ لقد بلغنى أنه يبلو الناقة الفرعاء بضربة سيف فيشطرها شطرين .

ثامر : ليته والله شطرك !

زيد : ثم سرحان ماذا كنت تصنع فى سرحان ؟

ثامر : إن استطاع سرحان بعد ذلك أن يقتلنى فليقتلنى فقد نجحت فى غرضى .

زيد : أتقول إن استطاع سرحان يا ثامر ؟ أما رأيته فى وادى الزراعة كيف أرى الأتراك نجوم الظهر وجندل أبطالهم وحمل بفرقته على مدفعيتهم وهى تقذف بالنيران تطاير من حوله ؟

ثامر : بلى قد رأيت ذلك ولكنك نسيت أن تذكر أنه لطمك فى وجهك ؟

زيد : لطمنى فى وجهى ؟ من قال لك ذلك ؟

ثامر : (**يضحك مستهزئـا**) انت الـذى قلت لى ذلك يا رجل . اما تستحى أن تجبن وتكذب ؟

زيد : (**يصفر وجهه ويتلعثم**) إن فعل ذلك فلأنه لم يعرفنى فقد ظننى من عامّة الجند .

ثامر : أجل ، ولو عرفك لكنت أهون عليه من ذلك .

زيد : (**يستعيد ثباته**) أتظنوننى أسكت لسرحان على هذه الأهانة ؟ والله ما منعنى أن أنتقم لشرفى منه إذ ذاك إلا خشيتى أن ينكشف أمرنا . والله لئن واجهت هذا النجدىّ يوما لأخضبن سيفى بدمه .

ثامر : كفى هذرا يا زيد . لا تشغلنا بهذرك عمّا جئنا له .

أحد الثلاثة : هذا شخص مقبل إلينا .. أظنه نعمان .

آخر من الثلاثة : لعله شخص آخر قد جاء يتجسس علينا .

ثامر : (**يتأمل فى الشخص القادم**) كلا .. هذا نعمان وهذه مشيته .

أحد الثلاثة : نعم هذا نعمان بعينه .

(**يظهر نعمان**)

نعمان : أنتم هنا ... ما جاء بكم ؟

ثامر : (**بلهجة المغضب**) انظـروا إلى هذا الغـادر يسألنـا ما جاء بنا هنا كأن لنا حاجة أخرى لا يعلمها هو . فاعلم إذاً أننا جئنا لنفصل فى الأمر الذى تسوّفنا فيه من يوم إلى يوم .

نعمان : ماذا تعنى يا ثامر ؟

ثامر : أعنى أننا سنتولى بأنفسنا القيام بالمهمة التى عجزت عنها .

نعمان : من قال لك إنى عجزت عنها ؟

ثامر : سواء عندى أن تسمّى فعلك هذا عجزا أو لا تسمّيه كذلك . يجب أن يقتل الليلة قاتل فهد النعسان وكفى .

نعمان : لا ريب عندى أنكم بتهوركم هذا تريدون أن تفسدوا الخطة التى تعبت فيها .

ثامر : لا خير فى خطة لا تتم إلا بالتسويف .

نعمان : إنك لعلى خطأ فى تسميتك التأنّى اللازم لنجاح الخطة تسويفا .

ثامر : (**يتحرق غيظا**) التأنى .. قاتل الله هذا التأنى . غدا يستولى هذا الرجل على عكاء فلا يبقى لنا مطمع فى الظفر به .

نعمان : أمهلنى بضعة أيام أخرى حتى يزداد سرحان وثوقا بى فأنجح فى عملى .

ثامر : قد عرفتك يا نعمان . إنك تديرنا عن عملك يوما بعد يوم لتضيع علينا الفرصة . إن هذا النجدى قد سحرك بآرائه فأنساك ثأر أبيك .

نعمان : لا والله ما نسيت ثأر أبى . إنما أتريّث من أجل ثأر أبى .

ثامر : ماذا تنتظر بعد ؟ أتبغى أكثر من أن تبيت على بضع خطوات من مر قد قاتل أبيك ؟ أتنتظره حتى يجيء إليك بخنجره ويقول لك خذ هذا فاذبحنى ؟

نعمان : أمهلنى يومين فقط يا ثامر .

ثامر : (محتداً) كلا والله لئن مرت هذه الليلة المشئومة ولم تقض حاجتنا فيها ليجدنّ فى الدنيا مجنون يقتل أخاه من أبيه وأمه . أسمعت ؟

أحد الثلاثة : ويلك يا ابن عمى لا تقل هذا .. لا تسمعه من فمك الأقدار .

ثامر : إن أصبح إبراهيم غدا فى الأحياء فدع الأقدار تسمعه من فمى .

أحد الثلاثة : لم يبق الآن عذر يا نعمان فأنجز الليلة مهمتك وتوكل على الله فقد يسعفك النجاح الليلة ولا يسعفك ليلة أخرى .

ثامر : يا نعمان . يا أخى يا ابن فهد النعسان أيجمل بك أن تتلهى بمسامرة هذا النجدى ومجاذبته أطراف الأحاديث وأشلاء أبيك معطّشة فى بطن الثرى تشكو من حر الصدى وتتململ من حرقات الجوى ؟ يا للعار القبيلة يا لشنار بنى النعسان !

نعمان : حسبك يا ثامر حسبك . لقد أغمدت خنجرك المسموم فى صدر فتى موتور .

ثامر : (يعانق أخاه نعمان) بل أطرت الرماد عن الجمر فى

قلب مسعور أنت الآن أخى حقا . سامحنى يا أخى إذ اتهمتك بنسيان ثأر أبيك .

نعمان : لقد عرفت الآن أن ألحق معك يا ثامر : إن التسويف لا يأتى بخير .

ثامر : أين كيس البن الذى معك يا زيد ؟

زيد : ها هو ذا عندى .

ثامر : أعطه لنعمان .

زيد : (**يناول نعمان كيس البن**) خذ يا نعمان .

(**يأخذه نعمان منه**)

ثامر : أهد هذا البن اليمنى الفاخر لصديقك فسيفرح به واقترح عليه أن يصنع قهوتكما الليلة منه . (**يناوله كيسا صغيرا**) وخذ هذا المسحوق فإذا أخذتما فى احتساء القهوة فغافل جليسك وضع شيئا من هذا المسحوق فى فنجانه فسيغلبه النعاس ويميل به أرضا فقم حينئذ للأخذ بثأر أبيك .

نعمان : إنها لفكرة مدهشة يا ثامر .

زيد : لقد هيأ لك أخوك كل شىء يا نعمان فما بقى عليك إلا أن تغمد خنجرك فى صدر نائم على فراشه . وسأكفيك أنا هذا النجدىّ صاحبك .

نعمان : ما تقول يا زيد ؟

ثامر : دعك منه . إنه يريد أن ينتقم من سرحان للصفعة التى نالته منه فى وادى الزراعة .

نعمان : إنه أجبن من ذلك .

ثامر : وإذا ما خلا الجبـــــان بأرض
طلب الطعن وحده والنزالا

زيد : ستعلمون أنى لست جبانا ولا أنام على ثأر .

ثامر : حسنا ، قد علمنا إنك لبطل الأبطال فاقطع عنا كلامك ودعنا فيما نحن بسبيله .

زيد : وقد علمت أيضاً أن كلامى لا يعجبكم فهأنذا سكت .

ثامر : (**لزيد**) خيراً صنعت . (**للجميع**) اسمعوا يا إخوانى منى . ستبقون أنتم الأربعة مرابطين هنا لعل نعمان يحتاج إليكم ، وسأنتظركم فى الحىّ وآمر العشيرة أن تكون على أهبة . فإذا فرغ نعمان من عمله فليلحق بكم ولتنطلقوا معا إلينا تجدوا الخيول مسرجة تنطلق بنا إلى الصحراء . أفهمتم ؟

الجميع : نعم .

ثامر : (**نعمان**) أعندك خنجرك المسموم ؟

نعمان : أجل هو ذا عندى (يخرج الخنجر من بين ثيابه ويريه إياه)

ثامر : (**يعانقه**) بارك الله فيك .. امض يا أخى واذكر أنك ابن فهد .

نعمان : ثق بأخيك يا ثامر .

(يمضى نعمان جهة القصر)

ثامر : (**للأربعة**) ابتعدوا قليلا عن هذا المكان لئلا يلحظكم سرحان من الرواق .

(يتقهقر ثامر والأربعة معه وهم ينظرون إلى نعمان حتى يتواروا عن الأنظار فى يسار المسرح) .

(يرقى نعمان الدرج حتى يصل إلى الرواق فيسقط الخنجر من ثيابه ويقع على الأرض فيلتقطه مضطربا) .

نعمان : ويلى ما أشأم هذا الفأل ! أتراه يسقط من كفى فى حضرة إبراهيم ؟ .. لا يا ابن فهد تشجع . **(يتجه إلى يمين الرواق حيث يتوارى برهة عن النظارة ثم يعود ومعه سرحان)** هل نام سيدى الباشا ؟

سرحان : إنه أرق الليلة ولكنه نام قبيل الآن بعد أن أخذت قسطى الوافر من النوم .

نعمان : وأنا أيضا قد أخذت بنصيب وافر منه أول الليل .

سرحان : إذن فلنسمر إلى الفجر فقد اشتقت إلى السمر معك بعد أن انقطعت عنى هاتين الليلتين فأين كنت ؟

نعمان : إنه الزكام يا سرحان قطعنى عنك فيهما .

سرحان : وكيف أنت الآن ؟

نعمان : الحمد لله بخير .

سرحان : الحمد لله .. أجر وعافية . وما هذا الذى بيدك ؟

نعمان : هدية يا سرحان أرجو أن تتقبلها منى .

(يناوله كيس البن) .

سرحان : **(ينظر فى الكيس ويشمه)** هذا بن يمنى جيد يا نعمان . أشكرك على هديتك .

نعمان : إن صديقا لى أهدانيه فأحببت أن أطرفك به لشغفك بالبن الجيد .

سرحان : والله لأصنعنَّ قهوتنا الليلة منه . سأجىء بالبساط والأدوات

هنا فتصنعها قهوة فاخرة .

(يذهب سرحان إلى يمين المسرح ويتوارى) .

نعمان : **(يضع يده على صدره)** يا للقلب المضطرب ! هذه ساعة والله رهيبة لكأنى بنفسى التى بين جنبىّ تبرأ منى ! كيف أقتل إبراهيم باشا ؟ أأقتله وهو منقذ قومى العرب ؟ وصديقى سرحان كيف أحمله تبعات اغتيالى وغدرى ؟ ما عساه يقول إذا وقع الأمر المحذور ؟ أأفجعه فى مولاه إبراهيم وفى صديقه نعمان ؟ لكن كيف أترك قاتل شيخى يعيش ؟ قاتل فهد النعسان ... قاتل أبى . آه قد يخاف المرء الشىء فتدفعه الأقدار إليه معصوب العينين . وما الأقدار سوى الأصداء التى تتردد فى جنبات النفس .

(يعود سرحان حاملا معه أدوات القهوة وبساطا يفرشه على أرض الرواق)

سرحان : **تفضّل** يا صديقى نعمان .

نعمان : **(يجلس على البساط)** شكرا يا سرحان .

سرحان : أمّا أنا فسأجلس هنا على طرف البساط حيث أكون قريباً من هذا الكانون . **(يجلس على طرف البساط ويضع الكانون بجانبه خارج البساط . يفرغ شيئاً من الفحم فى الكانون ويشعل حزمة من الحطب الرقيق عليه) (ينظر فى وجه نعمان على ضوء اللهب)** أراك الليلة واجما يا نعمان على وجهك آثار الاغتمام فهل تشكو من بأس ؟

نعمان : **(يتظاهر بالتجلد والثبات)** لا يا سرحان لا أشكو شيئا .

سرحان : أتحاول كتمان أمرك عني يا نعمان ؟ ألا تقول لى لعلى أستطيع أن أسرّى عنك .

نعمان : أىّ أمر أكتمه عنك يا صديقى ؟

سرحان : إنى قد صحبتك مدة تكفى لأعرف ما يدور بخلدك .

نعمان : (**يزداد اضطرابا وامتقاعا**) إن كنت تعرف ما يدور بخلدى فقل لى ما هو ؟

سرحان : والله لا أدرى ما هو ولكنى أعرف أنّ بك الليلة هما وأنك لست طلقا كعادتك .

نعمان : (**يسرى عنه**) أما يلمّ بك الشوق أحيانا إلى أهلك بنجد يا سرحان ؟

سرحان : (**يحرك الفحم فى الكانون ويقلب أسفله أعلاه ويشب النار بمروحة فى يده**) بلى يا نعمان قد تهزنى الذكرى إليهم ولا سيما والدتى العجوز ، فهل نابك الليلة شىء من هذا ؟

نعمان : أجل ، ذكرت أهلى بطرابلس فانتابنى ما ترى .

سرحان : (**باسماً**) لعل لك حبيبة هناك هزك الشوق إليها .

نعمان : إن لى ابنة عم لا تظل سماء طرابلس أجمل منها . وقد أوشكت أن أتزوج بها لو لم يطلبنى الحاكم التركى لشىء بلغه عنى فهربت من البلاد ليلا ولم يكن بينى وبين أن تزف إلىَّ إلا بضعة أيام .

سرحان : (**يضع إبريق الماء على الكانون لإغلائه**) ما الشىء الذى بلغه عنك ؟

نعمان : بلغه أنى أحرض القبائل على عصيان الدولة والامتناع عن دفع

الضرائب.

سرحان : هل كان ذلك منك نعمان.

نعمان : إنما حرضت الناس على أن يطالبوا الحاكم بالعدل فى تقدير العشر وأن لا يدع محصّليه يفرضون على الناس كما يشتهون، فيأخذون منهم ربع الريع أو ثلثه وقد يبلغ أحيانا إلى نصفه .

سرحان : لعل الحاكم قد ابتاع مجموع الضرائب والرسوم من الدولة فهو يحصّلها ويشتط فى ذلك .

نعمان : نعم فلا همّ له إلا أن يبتز أموال الناس قبل أن يعزل بغيره ممن يقدم للدولة عطاء أكبر .

سرحان : إن الدولة لتجرى على هذا الأسلوب فى جميع الولايات التى تحكمها : يبتاع أحدهم الولاية بالثمن الغالى من دولته كيما يتقاضى أضعاف أضعافه من دماء الشعب الذى ولته عليه ، ولكن هوّن عليك يا نعمان . سينقضى هذا العهد الذى يشكو العرب جميعاً منه .

نعمان : متى ينقضى هذا العهد البغيض يا سرحان ؟

سرحان : سينقضى عندما يتمّ لمولانا إبراهيم باشا طرد آخر رجل منهم عن آخر شبر من الوطن العربىّ .

نعمان : ليت شعرى أيكون لبلادى نصيب من هذا الرجاء ؟

سرحان : ولم لا وما يجاهد إبراهيم باشا إلّا ليحرّر أقطار العرب عامة ؟ وتأكد أن الشام إذا فتحت له كان فتح غيرها من البلاد العربية أمراً ميسورا .

نعمان : أفى نيّته أن يفتح طرابلس الغرب ؟

سرحان : لقد سمعته كثيراً ما يذكر لا طرابلس الغرب فحسب بل المغرب كله إلى بحر الظلمات ، وما رفض والده العظيم محمد على باشا ما كتب به إليه ملك فرنسا من اشتراك مصر معه فى فتح بلاد الجزائر إلا لهذا الغرض .

نعمان : ألا ترى أن حرب الشام ستطول كثيرا يا سرحان ؟

سرحان : لن تطول بإذن الله فما لقينا جيوش الدولة فى معركة إلا هزمناهم . وقد لقوا فى وادى الزراعة هزيمة منكرة ملأت قلوبهم رعبا فلن يثبتوا لنا فى وقعة بعدها . ولا تنس أن أهالى البلاد معنا بأيديهم وقلوبهم . ولولا هذه المدينة العنيدة عكاء لقد تمّ لنا فتح الشام قبل اليوم (**يلتفت إلى إبريق القهوة وهو يغلى**) قد أنسانا الحديث قهوتنا يا نعمان .

(يفرغ شيئا من البن فى الإبريق ومسحوقا من القرنفل والهيل ويحرك الملعقة فيه ثم ينزله من على الكانون)

نعمان : صبّ قهوتك يا سرحان فإنى مشتاق إليها .

سرحان : لا تعجل يانعمان .. حتى تهدأ وتروق .

نعمان : ما أذكى عرفها وأطيب رائحتها .

سرحان : وما أشهى مذاقها يا نعمان .

(يطلع القمر من الأفق شيئا فشيئا حتى تسقط أشعته على الرواق فتنيره)

نعمان : (**ينظر إلى القمر**) وما أجمل هذا القمر يطلع علينا ليسامرنا .

سرحان : (**يبتسم**) لكأنه أذرك موعد صبّ القهوة ليشاركنا فيها .

نعمان : جزاء تأخيرك لصبّها يا سرحان .

سرحان : لا تخف يا أخي فالقمر سمير كريم يعطى ولا يأخذ ويؤنس ولا يوحش ويفي ولا يغدر .

نعمان : فصبها إذن فقد آذنك القمر بذلك .

سرحان : أجل والله الآن حين طابت وراقت .

(يصب القهوة من الإبريق فيملأ فنجانين يقدم أحدهما لنعمان ويأخذ الآخر لنفسه)

نعمان : (**يحتسي قهوته**) لقد ألفت قهوتك هذه حتى صرت لا أسلوها يا سرحان .

سرحان : (**يتنهد**) لشدّ ما يذكرنى هذا السمر وهذا الليل المقمر نجداً يا نعمان .

نعمان : إيه حدثنى عن نجد وأيام نجد يا سرحان .

سرحان : حيث كنا نخرج فى الليلة القمراء إلى البطحاء ونسمر تحت النجوم على ود وصفاء . حيث كنا نغنّى أغانينا البدوية نرسلها كالحداء ترددها الصحراء وتصغى لها آذان الفضاء . حيث كنا تفرش البطحاء وقد بردت حبات الرمل بها إلا ما يرسله جوفها من دفء بشهى يحدث عن أشواق ذكاء .

نعمان : ما أحلى كلماتك يا سرحان وأشبهها بالشعر .

سرحان : يا ليتنى كنت شاعرا فأعبّر عما يضطرم بين جوانحى .

نعمان : من ذكرى نجد يا سرحان ؟

سرحان : أجل من ذكرى نجد .

نعمان : (يبتسم) ومن ذكرى الشيّماء حبيبتك .

سرحان : (يتنهد) وهل نجد عندى إلا الشيّماء ؟ ألا تشعر مثلى يا نعمان بأن طرابلس الغرب ما هى إلا ابنة عمك ؟

نعمان : بلى يا سرحان هذا ما أشعر به .

سرحان : آه يا نعمان إنى لأكاد الآن أطير شوقا إلى نجد وإنى لأشعر بحاجة إلى الغناء والترنم .

نعمان : فما يمنعك من ذلك يا سرحان ؟ إنى لأشتهى أن أسمعك تغنى كما غنيتنى ليلة قصيدتين رقيقتين فى الشوق إلى نجد .

سرحان : أأعجبك غنائى تلك الليلة يا نعمان ؟

نعمان : كيف أصف لك طربى لذلك الغناء ؟ لكأنى كنت والله أسمع نبضات قلب الصحراء من ثناياه .

سرحان : ولكنى أخشى يا نعمان أن أوقظ مولاى إبراهيم .

نعمان : صدقت ، ولكنك تستطيع أن تخفض به صوتك فلا يسمعه أحد غيرنا ، فدعنى أتول عنك علاج القهوة لتفرغ لغنائك .

(يقوم نعمان من محله ويجلس فى محل سرحان ويجلس سرحان فى محل نعمان)

سرحان : طاعة لك يا صديقى نعمان .

نعمان : (يملأ فنجانا من القهوة لسرحان) اشرب هذا الفنجان أولا ثم ابتدىء فى الغناء .

سرحان : (يشرب القهوة ويأخذ فى الدندنة ثم يغنى) :

ألا ياصبا نجد متـــى هجت من نجد
لقد زادنى مسراك وجدا على وجد
أأن هتفت ورقاء فى رونق الضحى
على فنن غض النبات من الرنـــد
بكيت كما يبكى الوليد ولم تكـــن
جليدا وأبديت الذى لم تكن تبدى
وقـــد زعمـــوا أن المحب إذا دنـــا
يمل وأن النأى يشفـــى من الوجـــد
بكل تداوينـــا فلـــم يشف ما بنـــا
على أن قرب الدار خير من البعـــد
على أن قرب الـــدار ليس بنافـــع
إذا كان من تهواه ليس بذى ود

نعمان : أحسنت وأطربت يا سرحان فبحياتى عليك إلا ماغنيت الأبيات الأخرى .

سرحان : أشعر ببعض القلق من قبل مولاى إبراهيم . فسأجوس خلال غرفته لأستوثق من نومه .

نعمان : لا أحسب صوتك الخافت يصل إليه . ولكن لا بأس أن تستيقن من ذلك إن شئت (**ينهض سرحان ويتوجه إلى يمين الزواق حيث يغيب**) هذه فرصة طيبة لأضع المرقد فى فنجانه (**يخرج كيس المسحوق من جيبه**) ولكنها خيانة والله لصديقى منى . أتراه أحس بشىء من هذا حين قال إن القمر سمير كريم يعطى ولا يأخذ ويفى ولا يغدر ؟ ويلى أيثق بى وأخونه ويفى لى

وأغدر به ؟ غير أنى قد وعدت ثامر الليلة بإنفاذ المهمة وهو قاتلى لا محالة إن لم أفعل . (**يضع المرقد فى فنجان سرحان ويحركه فيما بقى من القهوة**) سامحنى يا سرحان.

(**يعود سرحان ويجلس فى محله**) .

نعمان : كيف وجدته يا سرحان ؟

سرحان : الحمد لله .. وجدته نائما على سريره .

نعمان : قد قلت لك إن صوتك لا يبلغه .

(**يصب من الإبريق فى فنجان سرحان فيملأه**) اشرب هذا ثم غن.

سرحان : (**يشرب القهوة ثم يبدأ فى غنائه**)

قفا ودّعا نجدا ومن حل بالحمى
وقلّ لنجد عندنا أن يودعا
بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا
وما أحسن المصطاف والمتربعا
وليست عشيات الحمى برواجع
عليك ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عينى اليسرى فلما زجرتها
عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

(**يأخذ النعاس يداعب جفنيه ويضمحل صوته شيئا فشيئا**)

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى
على كبدى من خشية أن تصدعا

(يترنح يمينا وشمالا وعيناه مثقلتان بالنعاس فيدنو منه نعمان ويسنده ثم ينيمه على فخذه وهو ما يزال يترنم بغنائه بصوت ضعيف حتى انقطع عنه وغرق فى سبات عميق) .

نعمان : (**يحركه**) سرحان سرحان ! (**لا يجيب سرحان**) يا له من سبات عميق . قم يا نعمان .. قم لثأر أبيك .

(يضع رأس سرحان على ردائه فى الأرض . وينهض مضطربا يتلفت يمينا وشمالا) .

زيد : (**يظهر فى البقعة التى كان فيها مع ثامر وبنى عمومته كالمتجسس**)ها قد نام النجدىّ اللعين . ويل له منى لأقتلنّه الليلة .

نعمان : (**واقفا يتردد بين الإقدام والإحجام**) كيف أقتل إبراهيم ؟ أأقتله وهو منقذ قومى العرب ؟ يا للجرم الأكبر .. يا لجرم الأبد . وصديقى سرحان هذا الصديق الكريم ما ذنبه إلىّ فأحمّله غدا هذه التبعة العظيمة ؟ لا يا نعمان .. لا تفعل ، إنك لترتكب جرما جسيما إذ تخون صديقا كريما وتقتل بطلا من أبطال قومك عظيما ، من أجل أب قد طواه الثرى واستحال رميما . (**يبدو له شبح أبيه أمامه**) . ماذا أرى ؟ من هذا ؟ أبى فهد النعسان ! يا لله كيف قام من قبره ؟ لا يا أبت لا .. لا تخفنى بوجهك هذا الشاحب الهزيل وشعرك هذا الأرجوانىّ يقطر منه الدم !

زيد : (**فى مرقبه الأول**) عجبا .. لا أرى أحدا مع نعمان .. من ذا يخاطبه يا ترى ؟

الشبح : أيخاف ابنى منّى ؟ ويلى .. أنت سببت لى هذا يا إبراهيم . إيّاك يا نعمان أن تنسى ثأرى . (**يكشف عن صدره**) انظر يا نعمان إلى هذه الطعنة فى صدرى .. ها هنا طعنونى . وهنا مزقوا أحشائى فسالت تتدلى على ساقىّ .

نعمان : (**يغمض عينيه**) يا للهول !

الشبح : انظر إلى حلقى .. هنا ذبحونى .. هنا قطعوا الأوداج منى فأنشأ رأسى يخفق على كتفىّ !

نعمان : يا لهول المنظر .. يا للفظاعة !

الشبح : هيا أعدّ خنجرك .. هيا امش معى إلى قاتل أبيك .. هيا اتبعنى .

نعمان : (**يسل خنجره**) سمعا .. سأتبعك . (**يلتفت إلى سرحان**) وداعا يا سرحان .

(**يتقدم الشبح فيتبعه نعمان حتى يتواريا عن الأنظار**)

زيد : (**يقصد نحو القصر حتى يصل إلى طرف الرواق**) هذا والله جميل .. نعمان يقتل إبراهيم ، وزيد يقتل سرحان . (**يسلُّ خنجره**) هل أطعنه بالخنجر ؟ .. لا لا .. ربما يصحو فيطوقنى بيديه . ولكن سأطعنه بالرمح ليعصمنى منه طوله .

(**يغمد خنجره ويقبض على رمحه بيمينه**)

نعمان : (**يبدو من شباك الدهليز الموصل إلى غرفة إبراهيم باشا — يسمع الحركة فيطل فيرى زيدا يقترب من سرحان والرمح فى يده**) . لعنة الله عليك يا زيد ، تقتله وهو نائم . تبالك يا جبان !

زيد : (**يلحظه شزرا**) لا شأن لك بى .. امض لشأنك .

نعمان : (**يصيح**) سرحان ! سرحان ! انتبه يا سرحان !

(**يسدد زيد رمحه ليطعن به سرحان**) .

نعمان : سرحان ! انتبه يا سرحان !

(**يرتاع زيد فتصيب طعنته يد سرحان اليسرى فيهب مذعورا**)

سرحان : (**يفرك عينيه**) ويل لك من أنت يا هذا !

زيد : (**يسدد الرمح إليه ليطعنه فى صدره**) خذها يا تعيس الحظ فلن تعرف من أنا .

سرحان : (**يحيص عن الطعنة ويهجم فى لمح البصر بخنجره على زيد فيلقيه صريعا على الأرض**) بل خذ هذه يا قصير العمر سأعرف من أنت جثة هامدة

(**يظهر شخص إبراهيم باشا خلف نعمان من الشباك**)

إبراهيم : عجبا .. ليس هذا سرحان ... ماذا تصنع هنا يا فتى ؟

نعمان : (**يستدير إليه**) جئت يا غريمى .. فذق هذا الخنجر المسموم (**يهجم على إبراهيم باشا بخنجره ولكن إبراهيم يتلقى الطعنة بالقبض على يده**)

إبراهيم : ويل لك .. من أنت ؟ كيف أتيت هنا ؟ (**يجر نعمان معه لينزل به إلى الرواق**)

سرحان : (**يلتفت يمينا وشمالا باحثا عن نعمان**) نعمان ! أين أنت يا نعمان؟ عجباً .. أين ذهب ؟

(يظهر إبراهيم على الرواق وبإحدى يديه خنجر نعمان والأخرى على يد نعمان يجره جرا) .

سرحان : (مدهوشا) مولاى .

إبراهيم : ما هذا يا سرحان ؟ كيف جاء هذا الفتى إلى مخدعى والخنجر فى يده ليقتلنى ؟ أين يا حارسى كنت ؟

سرحان : يا ويل أبى ، أهذا نعمان ؟ أينوى نعمان هذا الجرم العظيم ؟ أجننت يا نعمان ؟ كيف جرؤت على هذا ؟

إبراهيم : (ينظر إلى زيد الصريع على الأرض) من هذا الفتى المطعون ؟

سرحان : لا أعرف من هو يا مولاى .. لقد جاء يقصد قتلى .

زيد : أنا زيد من أنصارك يا مولاى ، أتيت لأحبط هذا التآمر عليك من سرحان وهذا الفتى لاغتيالك ، فعاجلنى هذا بطعنة من خنجره فوقعت كما ترى . ولكنى سأموت قرير العين لأنك نجوت من كيدهما .

سرحان : كذبت يا جبان (يهم أن يجهز عليه) أئنك لحىّ بعد ؟

إبراهيم : دعه يا سرحان لا تمسسه .

زيد : إنما رام قتلى ليخفى هذا السر عليك .

إبراهيم : ما قولك يا سرحان ؟

سرحان : ما أحسب مولاى إبراهيم يصدّق شيئا من هذا .

إبراهيم : إذن فقل لى كيف أذنت لنعمان هذا أن يقصد مخدعى والخنجر فى يده ؟

سرحان : إنى اتخذته صديقا فيك ، وفى العرب،وما خطر قط ببالى أنه سيحاول يوما هذا الجرم الكبير .

إبراهيم : أجعلت مكانى سمراً لكل من هبّ ودبّ ؟

سرحان : أنا معترف بالخطيئة يا مولاى ، فأوقع بى من عقابك ما أستحق ،

نعمان : لا تعاقبه يا مولاى فهو برىء وإنى أنا المذنب . أنا الذى اتصلت به وخدعته بصداقتى وقد أسقيته الليلة المرقد لأدرك ثأر أبى منك .

إبراهيم : منى أنا يا هذا ؟ من يكون أبوك ؟

نعمان : فهد النعسان .

إبراهيم : (**يلتفت إلى سرحان**) فهد النعسان ! أتأتى بابن فهد النعسان هنا عندى ؟

نعمان : كان لا يدرى أنى ابنه يا مولاى ، فقد أوهمته أنى عربىّ من طرابلس الغرب .

زيد : لا تصدّقه يا مولاى فإنما يريد تبرئه شريكه فى الجريمة . ولو لم يشغلنى بصياحه من الشباك لأثبت رمحى فى هذا المجرم فأرحت الوجود منه .

نعمان : اسكت يا وغد .

زيد : سأسكت عما قريب إلى الأبد ، ولكنكما ستلقيان جزاء جريمتكما .

(**يهجم الرجال الثلاثة من أبناء عمومة ثامر على إبراهيم**

ويحيطون به)

سرحان : (**ينفخ فى صفارته للاستنجاد**)

نعمان : (**وهو فى قبضة إبراهيم باشا**) أرسل يدى يا مولاى . والله لأدفعنّ دونك .

إبراهيم : (**يجعل ظهره إلى الجدار . ونعمان فى قبضة يده**) ويلكم ما جاء بكم ؟

أحد الثلاثة : أجّلك ؟

سرحان : (**يهجم عليه فيصرعه على الأرض**) بل آجالكم حانت ! (**يدنو الثانى ليطعن إبراهيم باشا برمحه فيدفعه نعمان برجله فيزحزحه بعيداً**)

الثانى : لعنة الله عليك يا نعمان !

نعمان : (**يرسله إبراهيم باشا من قبضته**) بل لعنة الله عليك وعلى من أرسلك !

الثانى : (**يحاول طعن إبراهيم باشا مرة أخرى فيطوقه نعمان بذراعيه من خلفه ويقبض بيده على وسط الرمح**) ويلك ، أتمنعنى من أن آخذ لك بثأر أبيك ؟

نعمان : نعم أمنعك وإن أبيت قتلتك .

الثالث : (**يهوى بسيفه على إبراهيم باشا**) لا نجوت إن نجوت منى (**يحيص إبراهيم عن ضربته فتقع على الجدار ويلكمه على وجهه بجمع يده فيلقيه على الأرض ويذهب ناحية زيد ليأخذ حربته فإذا زيد يحاول طعنه فيركله إبراهيم برجله فيقضى عليه ويأخذ منه حربته فيطعن الصريع وكان قد**

قام وحمل بسيفه على إبراهيم)

سرحان : (**يقوم من على خصمه وقد انتزع سلاحه منه فيقتله به**)
خذه من يد عزرائيل .
(**يخف إلى جهة نعمان وخصمه وهما يتنازعان الحربة فينتزعها منهما**)

نعمان : (**ما يزال ضاما خصمه من خلف**) اقتله يا سرحان .

الثانى : عار عليك يا نعمان أن تأمر بقتل ابن عمك لا لذنب ارتكبه إلا أنه أراد أن يعينك على الأخذ بثأر أبيك .

نعمان : قد أنذرتك أن تكف عن هذه المعونة وتمضى لسبيلك فأبيت .

الثانى : إن لم يعد يهمك الأخذ بثأر أبيك الآن فأجدر أن لا يهمنى أنا ، فدعنى أنصرف لسبيلى .

إبراهيم : دعه يا سرحان لا تقتله .. ما أرى إلا أنّ لمقال هذا الرجل نصيبا من الحق . (**يقبل اثنا عشر جنديا من الحرس مسرعين)** (**يلتفت إلى نعمان**) أرسل ابن عمك هذا .

نعمان : (**يرسله**) سمعا يا مولاى .

(**يصل الجنود إلى الرواق فيرفعون أيديهم بالتحية**)

أحد الجنود: هل من حادث يا مولاى ؟

إبراهيم : لا شىء .. احملوا هذه الجثث وأبعدوها عنا (**تحمل الجثث الثلاث كل جثة يحملها اثنان**) (**يشير إلى ابن عم نعمان**) واصرفوا هذا الرجل من هنا ولا تمسوه بسوء (**للرجل**) انطلق إلى قومك فبلغهم أنى عفوت عنك .

الرجل : شكـــراً لك يا أمير مصر .. لن أعين علـــيك بعـــد اليوم .

(**يمضى الرجل يرافقه ثلاثة من الجند**)

إبراهيم : (لبقية الجنود الذين حضروا) انطلقـوا إلى المعسكـر فأيقظوا الكولونل سيف والأمير عباس وأحمد بك المنيكلى ليحضروا حالا .

الجنود الثلاثة : سمعا يا مولانا (**يمضون**)

إبراهيم : (لسرحـان ونعمـان) بارك الله فيك وفى صديـقك يا سرحان .

سرحان : أنا فى خدمتك الدهر يا مولاى العظيم .

نعمان : الحمد لله الذى نجاك ونجىّ بك يا مولاى يا أمير العرب .

إبراهيم : (**لنعمان**) إن أمرك يا فتى لعجيب .

نعمان : والله الذى لا إلٰه إلا هو لقد أمسيت يا مولاى أحب الناس إلىّ . إن سرحان مازال يذكر لى آمالك فى توحيد العرب وإحياء سؤددهم حتى كاد ينسينى أن شيخى من قتلاك .

إبراهيم : اقتصد فى يمينك فإنى لم أزل قاتل أبيك .

نعمان : لقد احتسبت حياة أبى فى سبيل حياة العرب . رحم الله أبى ، لو عاش حتى علم حقيقة مسعاك لرجوت أن يكون نصيرا لك ، ولكن والى عكاء خدعه إذ أوهمه أنك تسعى لتثبيت أقدام الترك فى البلاد .

إبراهيم : ما يدريك أنى لست كما يقول والى عكاء ؟

نعمان : هيهات يا مولاى أن يشك اليوم أحد فى مسعاك . لقد وضح الصبح لدى عينين .

إبراهيم : فأين كانت عيناك حين جئت تحمل لى الموت فى يمينك ؟

نعمان : كانتا معى يا مولاى ، ولكن ثامرا أعماهما — أعمى الله عينيه .

إبراهيم : من ثامر هذا ؟

نعمان : هو أخى وشيخ القبيلة بعد أبى . قد رابه تسويفى للجريمة من يوم إلى يوم فأقسم ليقتلنىّ غدا إن لم أنفّذها الليلة . وإنى والله ما حملت الخنجر إليك إلا وأنا أتمنى أن يقع من يدى أو يرتدّ فى نحرى .

إبراهيم : من هؤلاء الذين هاجمونا الليلة ؟

نعمان : رجال من بنى عمومتنا يا مولاى .

إبراهيم : أين كان أخوك ثامر .. لم لم يجئ معهم ؟

نعمان : كان فى الحىّ ينتظرنا أن نلحق به بعد ارتكاب الجريمة .

إبراهيم : ألا ترى مطمعا فى استرضائه واستمالته إلينا ؟

نعمان : ما إخاله يكف عن محاولته الأثيمة وتحريضه العشيرة على الأخذ بالثأر .

إبراهيم : (**يطرق هنيهة ثم يقول**) ما أراك إلا صادقا فيما تقول فما تظننّى صانعا بك ؟

نعمان : إن تعاقب فعدل منك يا مولاى وإن تعف عنى فأنت لذلك أهل .

إبراهيم : قد عفوت عنك فاذهب حرا أين شئت .

نعمان : شكرا لك يا مولاى ولكنى لا أستحب عفوا يقصينى عن خدمتك ، فهل لى أن أقاتل معك حيثما قاتلت . ولعلى أدفع عنك كيد أخى ورجاله فإنى أعرفهم دونك .

إبراهيم : ما رأيك فيه يا سرحان ؟

سرحان : لا أستطيع أن أشير عليك به بعد أن خدعنى هذه الخدعة الكبرى يا مولاى .

إبراهيم : ولكنى أثق به لأنه لا ينخدع مثلك يا سرحان .

سرحان : أتعفو عنه يا مولاى ولا تعفو عنى وهو الذى أوقعنى فى غضبك ؟

إبراهيم : سأؤجّل العفو عنك يا سرحان حتى ندخل مدينة عكاء غدا إن شاء الله .

سرحان : غدا ... أقرّرت الهجوم غدا يا مولاى ؟

إبراهيم : نعم .

سرحان : (**تتهلل أساريره**) يا بشرى ! والله لأكوننّ أول رجل فى جيشك يقتحم السور .

إبراهيم : (**مبتسما**) أنت لها يا ابن غالية .

(يقبل الأمير عباس باشا والكولونل سيف وأحمد المنيكلى بملابسهم الرسمية)

عباس باشا : (**لزميليه الضابطين**) هذه آثار الدم على الأرض .

سيف : نعم دماء الثلاثة الذين قتلوا .

أحمد المنيكلى : أجرت معركة هنا ونحن لا نعلم ؟

سيف : (**لإبراهيم باشا**) خير يا مولاى .

عباس باشا : ماذا حدث يا عم ؟

إبراهيم : حادث بسيط .. جماعة من الأشقياء أرادونى بسوء فكفانى الله شرهم بهذين البطلين (**يشير إلى سرحان ونعمان**)

سيف : (**يصافح سرحان ثم نعمان**) **امدد يدك يا سرحان .. وأنت يا بطل .**

عباس باشا : (**يصافحهما أيضا**) بارك الله فيكما .

أحمد المنيكلى : (**يصافحهما**) أهنئكما .

سرحان ونعمان : (**على وجهيهما آثار الخجل**) شكرا .

أحمد المنيكلى : ولكن كيف جاء الأشقياء هنا ؟

عباس باشا : نعم .. كيف أمكنهم ذلك ؟

إبراهيم : لا تسألوا عن هذا الآن فسأقصه عليكم غدا إن شاء الله فى قصر عبد الله باشا بعكاء .

الضباط الثلاثة : (**ينظر بعضهم إلى بعض**) غدا بعكاء !

سيف : أينوى مولاى الهجوم ؟

إبراهيم : نعم ولهذا دعوتكم الآن . أين خريطة المدينة أهى معك ؟

سيف : (**يستخرج الخريطة من جيبه الداخلى ويقدمها لإبراهيم باشا**) نعم يا مولاى هذه هى .

إبراهيم : (**يتناولها وينشرها معتمدا بها على حائط الرواق — ينظر فيها مليا**) تعال ادن منى يا سيف .

سيف : (**يدنو منه**) مولاى .

إبراهيم : انظر يا سيف ألست ترى أن هذه النقطة صالحة لنهاجم سور المدينة منها ؟

سيف : حقا يا مولاى فهذا أقصر خط إلى كبرى الفتحات الثلاث التى أحدثتها مدافعنا فى السور .. ولكن ..

إبراهيم : ولكن ماذا ؟

سيف : أرى يا مولاى أنه لم يحن وقت الهجوم بعد .

إبراهيم : لم يحن وقت الهجوم بعد ؟ أنبقى إذاً نصف عام آخر حتى نفتح هذه المدينة ؟ لا يا سيف .

سيف : إنّ مآلها التسليم يا مولاى حين يطول عليها الحصار وينفد فيها القوت .

إبراهيم : ما أحسب هذه المدينة ينفد منها القوت ولو حاصرناها عاما كاملا .

سيف : صبرا قليلا يا مولاى ..

إبراهيم : لن أصبر أطول مما صبرت . لقد أوشكت الليلة أن أغرق فى شبر ماء من طول مقامى فى هذا القصر .

سيف : تعنى حادث الليلة يا مولاى .. حماك الله من كل سوء .

عباس باشا : كيف جرى هذا الحادث يا عم ؟

إبراهيم : ستعلم ذلك يا ابن أخى غدا فى عكاء . وما أحسبه إلا إيذانا من الله لنا بالهجوم .

سيف : ولكن فى الهجوم غداً شيئا من المجازفة يا مولاى .

إبراهيم : إن من النجاح ما لا يدرك إلا بالمجازفة .

سيف : إن المدينة يا مولاى ما زالت أمنع من أن يغير عليها الجيش وإنّ مدافعها سوف تحصده حصدا .

إبراهيم : (**متبرما**) كفى نقاشا وتثبيطا يا سيف .

سيف : اذكر يا مولاى أنها أعيت قبلك صرامة نابليون .

إبراهيم : (**يحمر وجهه غضبا ويدق الرمح الذى بيده على الأرض**) دعنى من نابليون فإنّى إبراهيم ! (**يصمت الجميع هنيهة**)

سيف : سامحنى يا مولاى إن أثرت غضبك فما هو إلا الرأى الذى عودت عليه رجالك . وإنى بعد لعبد مطيع لك .

إبراهيم : (**يهدأ غضبه**) هذا ما يقتضيه الرأى يا سيف . إنك تعلم أنّ الأتراك سيعاودوننا بأكبر جيش لديهم فلن يجدوا قوّاتى حينئذ شطرين .

سيف : رأيك الرأى الأعلى يا مولاى .

إبراهيم : (**يضرب على صدر الكولونل سيف**) عشت يا سيف ، عشت يا زميلى القديم .

سيف : عبدك الدهر يا مولاى .

إبراهيم : لن تعجزنى عكاء وأنت معى .

سيف : شكرا يا مولاى .. شكرا .

إبراهيم : توكلوا على الله يا أبطال . إن صوت النصر يناديتا من أفواه تلك الثغر التى فى السور . ألا فاسمعوه ألا فلبوه !

الجميع : (**أصوات**) سمعنا ولبينا سمعنا ولبينا ! لبيك كلنا طوع يديك !

إبراهيم : ليهبّ الآن الجيش كله واختاروا أشجع فرسانه ليكونوا فى

طليعة الهاجمين : وستحملنى فرسى بينهم والله معى .

الجميع : الله ونحن معك .

إبراهيم : (**يلتفت إلى سيف**) وعلى رجالك يا سيف أن يحمونا بنيرانهم من حفافينا ريثما ننسف الأسوار ونقتحمها بإذن الله فاتحين .

سيف : سمعا يا مولاى .. لترعك عين الله .

الجميع : لترعك عين الله .

إبراهيم : (**ينظر فجأة إلى الأفق**) الله أكبر ! انظروا يا أبطال النيل ها هو ذا الفجر قد طلع . (**ينظر الجميع إلى الأفق**) لن تطلع شمس اليوم حتى نفتح تلك التى ارتدّ عنها نابليون ! إن الله لا يرضى أن تفتح هذه البلاد لغير العرب .

(ستـــار)

الفصل الثالث

فى سهل قونيه فى اليوم التالى لمعركة قونية التى انتصر فيها إبراهيم باشا انتصارا حاسما على الأتراك . جانب من المعسكر المصرى يظهر فيه على يسار المسرح جانب من خيمة إبراهيم باشا يشتمل على بهو استقبال كبير وغرفة نوم يفصلها عن البهو باب واسع .

يظهر سرحان فى الزاوية اليمنى من المسرح خارج الخيمة .

سرحان : أين كنت يا صديقى نعمان ؟ هلمّ إلىّ — هنئنى أهنئك — هنئ أرض العرب .

نعمان : (**يقبل من يسار المسرح فيعانقه**) اليوم تقرّ العين .

سرحان : ويحيا القلب .

نعمان : ويصفو العيش .

سرحان : عشت يا سهل قونيه . فيك قصمنا ظهر العدوّ فلن يكون له على بلاد العرب بعد اليوم سلطان .

نعمان : أتدرى كم قتل منهم وأسر ؟

سرحان : أخبرنى الكولونل سيف بأن أسراهم يبلغون حوالى ستة آلاف وأن قتلاهم ضعف هذا العدد أو أكثر .

نعمان : سبحان الله .. أتمّ ذلك كله فى سبع ساعات ؟

سرحان : أجل ولكنها سبع ساعات فى طولها كسبع ليال . لقد رأيتنى وأنا أقاتل عن يمين مولاى إبراهيم باشا وهو يحرّض الصفوف

ويضرب ضرباته فى أبطال القوم وقد التحم الجيشان وغربت الشمس واعتكر الليل فما يعرف بعضنا بعضا إلا بالنداء حتى انهزم القوم كأننا كنا فى حلم . ومن يصدّق قط أن الجيش المصرى لم يخسر بعد هذا كله إلا ثمانمائة بين قتيل وجريح ؟

نعمان : آمنت بالله وأيقنت أن النصر بيده يؤتيه من يشاء .

سرحان : لا ريب فى ذلك فقد كنا أقل عددا منهم فى كل معركة هزمناهم فيها.ولكن لا تنس أن الجيش بقائده .

نعمان : صدقت .. ليس فى الدنيا بطل كإبراهيم باشا . ولا عزم أمضى من عزمه .

سرحان : ألا تعلم يا نعمان أنه ليس بيننا وبين اسطنبول الآن إلا مسيرة خمسة أيام ؟ آه لو تعلم أمى أىّ انتصار مجيد شهد ابنها اليوم للعرب.. إذن لقل عندها ما باعته من حليها لتجهزنى إلى مصر .

نعمان : (**يظهر عليه التأثر**) وددت لو أن أبى لم يقتل يا سرحان حتى شاهد استقلال بلاد العرب اليوم . إذن لفدى إبراهيم باشا بمهجته وبأرواح كل بنى النعسان .

سرحان : ما مضى فات يا نعمان فدع عنك التحسر والذكرى . دعنا نطرب . دعنا ننهب صفو هذا اليوم . هذا يوم تعتق من ذلها أوطان العرب . هذا يوم يرجع من مجدنا ما ذهب هذا يوم بسام الثنايا وضىء الشنب . فجره لؤلؤ والضحى فضة والأصيل ذهب !

نعمان : بعض هذا الفرح يا سرحان ، فمن يدرى ماذا تضمر الأقدار لنا فى هذا اليوم ؟

سرحان : دع عنك التشاؤم يا نعمان بيوم يزهر بالآمال .

نعمان : إنى لمحت أخى ثامرا فى المعسكر هذا الصباح .

سرحان : ماذا تخشى منه ؟

نعمان : لا أخشاه على نفسى وإنما أخشى أذاه على مولانا إبراهيم باشا .. فبالغ فى حراسته يا سرحان ولا تأخذ عينيك سنة .

سرحان : (**يضحك مازحا**) إلا أن تدوف لى فى القهوة مرقدا يا نعمان .

نعمان : لا تمزح يا سرحان فليس هذا أوان المزاح . علينا أن نرابط هنا ولا نبرح جوار الخيمة قط .

سرحان : لكنّى قد استأذنت مولاى إبراهيم فأذن لى بأن أجرى فى طلب القائد التركىّ لعلىّ أمسكه فأعود به أسيرا إلى مولاى .

نعمان : ما شأنك والقائد التركى ؟ أليس حراسة مولاك أهمّ من هذا وأوجب ؟

سرّحان : فى هيبة مولاى إبراهيم وفى إقدامك يا نعمان غنى عنىّ

نعمان : إنى أدرى بأخى منك يا سرحان . إنه فاتك كالموت وموتور كاللّيث المهيج وإنى أخوه وقد لا تقوى على طعنه يمناى .

سرحان : ما إخالك تؤثر هذا الأخ المأفون على آمال العرب .

نعمان : معاذ الله يا سرحان ولكنه مرهوب اللقاء .

سرحان : ولست جبانا يا نعمان فتخشى لقاءه .

نعمان : (**متبرما**) لا أستطيع أن أحاجّك الآن يا سرحان وحسبى أن أقول لك إن قلبى ينذرنى بالشر .

سرحان : دع عنك وساوس قلبك . لا تخف سوءا .. إنّ إبراهيم ليعصمه ربه حتى يكمل استقلال العرب .

(**يهز يد نعمان**) فيك الخير يا نعمان .. إنك لا تنخدع مثلى . إلى اللقاء .

نعمان : (**يحاول كتمان ألمه**) الوداع يا سرحان (**يمضى سرحان**) (**يحدث نفسه والحزن باد عليه**) أبى ... رحمة الله عليك ! أبى ما أشقانى بك . كلما ازددت سروراً بانتصار العرب واستقلال بلادهم ازددت ألما لأنك لم تشهده .. بل لأنك قتلت دونه . ليت شعرى أحقا أنت ناقم علىّ وأنت فى العالم الآخر لأنى لم أطلب بثأرك بل جعلت أناصر قاتلك وأفديه بنفسى من كل سوء ؟ وهذا ابنك الآخر قد جاء باذلا روحه ليثأر لك وقد جعلت وكدى أن أحول بينه وبين ما يريد ولو أدى ذلك إلى قتله . آه يا أبت ما أشقانى بك،ما كان ضر الأقدار لو أمهلتك بضعة أشهر ، إذاً لكنت يا أبت أعقل وأحكم من أن تؤثر والى عكاء الغادر على إبراهيم منقذ العرب . رباه هذا أخى ثامر قد أقبل يسعى . ومن ذاك الذى معه ؟ ما أشبهه بخالد ابن عمى .. نعم هو خالد نفسه .

(**يظهر ثامر وخالد متنكرين — يستخفى نعمان**) .

ثامر : لن يفلت منى إبراهيم اليوم .. سأقتله فى أوج انتصاره .

خالد : أما إنه لانتصار عظيم لإبراهيم أدال به للعرب من ظالميهم

وولاهم فى الإدارة والجيش الرتب الكبرى بعد ذلك الغبن الطويل عليهم فى العهد التركى .

ثامر : حق ما تقول ، فلا شك أن إبراهيم هو المنقذ المأمول لتخليصنا من ظلم الدولة . ولو أبصرتنى أمس إذ كنت أرقب غرة منه لأقتله لرأيت عجبا . فقد اندفعت إلى المعمعان بلا وعى منى كالليث المهيج أقاتل أعداءنا فى صفوف المصريين .

خالد : أجل قد رأيتك أمس كأنك من جند إبراهيم .

ثامر : أكنت أبصرتنى ؟ أين كنت أوانئذ ؟

خالد : كنت خلفك غير بعيد منك وقد كان منى ما كان منك فلم أتمالك إذ التحم الجيشان وأبصرت قلة جيش العرب وكثرة أعدائهم أن خضت الوغى فى صفوف المصريين . فطابت نفسى حينئذ واطمأنت كأنى كنت أخا ذنب يقظان الضمير فتبت .

ثامر : عجبا هذا ما شعرت به أيضاً إذ ذاك .. والله لكأنك تحدثنى عما كان يجول بنفسى .. ولكن ما شأن هذا وشأنى ؟ لا شأن لى إلا بأبى ، والذى روى الأرض من دمه هو إبراهيم فلا بد لى أن أثأر منه (**يتلفتان حولهما فيتوارى نعمان**) أعلى استعداد أنت لتلقى الموت انتقاما لعمك فهد يا خالد ؟

خالد : ما سؤالك هذا يا ثامر ؟ هل جئنا إلّا لهذا ؟

ثامر : عشت يا ابن عمّى . هذه خيمة إبراهيم فلنرصدها حتى إذا خرج هاجمناه من خلفه ومن أمامه .

خالد : دعنا الآن نبتعد قليلا لئلا يرتاب بأمرنا أحد .
(**يختفيان**) .

نعمان : (**يظهر من مختباه**) ويل لهما عازمان على الفتك به . يا ليتك يا سرحان بقيت هنا . أأقول لمولاى إبراهيم ليأخذ حذره ؟ لكنى لا أجسر على ذلك فقد كان يجب علىّ أن أفتك بهما أو أصيح بالجند ليقبضوا عليهما . ما الذى منعنى من ذلك كأنى مغلول اليدين معقود اللسان ؟ ... هذا مولاى إبراهيم والكولونل سيف قد أقبلا . ما جاء بهما الآن ؟ أقد انتهيا من استقبال وفود التهنئة ؟

(**يدخل إبراهيم باشا والكولونل سيف إلى بهو الخيمة**)

إبراهيم : نعمان ، أنت هنا ؟

نعمان : نعم يا مولاى .

إبراهيم : أين صديقك سرحان ؟

نعمان : ذهب فى طلب القائد التركى يا مولاى .

إبراهيم : نعم .. نسيت أنه استأذننى فى ذلك فأذنت له ، اذهب يا نعمان إلى سرادق الاستقبال فقل لمن هناك إذا جاء أحد من زعماء الوفود يريد مقابلتى فليأتوا به هنا .

نعمان : سمعا يا مولاى (**يخرج**)

إبراهيم : (**للكولونل سيف**) أرأيت كيف جاءت وفود البلاد حتى ديار بكر تهنئنا وتقدم لنا ولاءها وطاعتها .

سيف : أجل يا مولاى . إن البلاد كلها أصبحت فى قبضة يدك .

إبراهيم : (**يتنهد**) ولكن هذه الدول الأثيمة أبت إلا أن تغلّ هذه اليد

سيف : سرّ عنك همومك يا مولاى فسوف تسير الأمور على ما تريد.

إبراهيم : ما شأن دول الغرب بنا تتداخل فيما ليس يحق لها من شؤون الشرق ؟ ليت شعرى متى يأتى يوم يعرفون به أنهم ليسوا أوصياء علينا وأنّا لسنا بأطفال قصّر ؟

سيف : إنهم أوجسوا منكم خيفة إذ رأوكم تقيمون هذا الشعب الهائل عدده ، المجيد تاريخه ، من هوان طال به تحت كلكل هذا الشيخ المريض .

إبراهيم : الشيخ المريض أحبّ إليهم من شعب فتىّ يحبط أطماعهم فى الشرق . آه ليت كتاب أبى لم يصلنى إلّا على باب اسطنبول فما دونها من هنا إلّا بضعة أيام .

سيف : هب كتاب أبيك لم يأتك بعد يا مولاى .

إبراهيم : أتدعونى يا سيف لأعصى سيّدى الوالى ؟

سيف : لا وعيشك يا مولاى ، ولكنها فرصة ربما لا تتاح غدا مثلها لا جتثاث القرحة من أصلها حتى لا تعلّ الجسم الذى قد شفاه الله بطب يديك . لن تأمن مصر على نفسها أو على أقطار العروبة ما دام هذا العنكبوت بأسطنبول يرى أن من حقه أن ينفث فى الوطن العربى خيوطه .

إبراهيم : وذئاب الغرب يا سيف ؟

سيف : إن الأمر الواقع كفيل بأن يجعلها تبصبص بأذنابها للأسد المصرى حينما يستوى على عرش الشيخ المريض .

إبراهيم : لكن كتاب أبى يقتضى أن لا أتقدم بعد كوتاهيا قيد شبر وإنى لن افتات عليه ولو زويت لى أقطار الدنيا .

سيف : ما الرأى إذن يا مولاى ؟

إبراهيم : أن أكتب إلى سيدى الوالى وأنتظر رده فى اقتراح مواصلة الزحف حتى اسطنبول .

سيف : ستضيع الفرصة يا مولاى إذا نجحت دول الغرب فى دفع مولاى الوالى لقبول الصلح .

إبراهيم : لأبى الرأى الأعلى . وله الأمر فى كل حال .

(يدخل عباس باشا)

عباس : سلام عليكم .

سيف : وعليك السلام .

إبراهيم : إنك لم تشهد الوفود يا عباس .. أين كنت ؟

عباس : ذهبت مع المطاردين لفلول العدو يا عم .

إبراهيم : ما نبؤهم يا عباس ؟

عباس : شردناهم فى تخوم الأرض فسالت مئات منهم على أطراف الرماح وهلك كثير من التعب والإعياء وطوحت بالباقين مناياهم فى أيدى العربان والأكراد .

إبراهيم : أبليت وغامرت يا ابن أخى .

عباس : منك يا عم تعلمت هذا الغمار .

إبراهيم : بارك الله فيك . إن الغمار لنصف النجاح وما أدرك المجد ذو إحجام وإن الموت لفى يد من أحياك.أوَ لم تظفروا برشيد باشا قائدهم ؟

عباس : لا والله يا عم .. لا ندرى كيف ابتلعته الأرض .

إبراهيم : ستلفظه لنا يوما يا بنىّ .

(**ينهض من مجلسه**) أشتهى أن أنام قليلا .. تعبت من استقبال وفود التهانى من كل صقع بعيد .

سيف : أجل يا مولاى إنك لفى حاجة إلى الراحة .

إبراهيم : سبحان الله .. إنى لأتعب من استقبال وفود التهنئة ما لا أتعب من قراع كتائب المعمعة .

سيف : تلك يا مولاى شيمة البطل .

إبراهيم : البطل يا سيف من لا يضيق ذرعا بشىء . ذاك أبى — حفظه الله — هو أقوى منى فى هذا السبيل .

سيف : إن العناية الإلٰهية قد اختارتكما بطلين لدولة عظيمة أحدهما يشيدها ويعلى بناءها والآخر يسوسها ويرفع لواءها .

إبراهيم : (**يتبسم**) ما أحسن ما قلت يا سيف (**يدخل المخدع**)

عباس : هل حدثك عمى عن كتاب أبيه بوقف الزّحف ؟

سيف : نعم يا سمو الأمير .

عباس : وما عزمه ؟

سيف : أن يطيع أمر جدّك لا ريب .

عباس : عزيز هذا والله علينا وما دون اسطنبول سوى أيام معدودة .

سيف : ربّما يكون فى هذا يا أميرى خير .

عباس : آه يا كولونل سيف لو تدرى كم تشتاق نفسى إلى فتح اسطنبول !

سيف : كل شىء رهين بإبّانه يا صاحب السمو .

(**يدخل الحاجب**)

الحاجب : بالباب فتى يتظلم من أحد الجنود ويرجو مقابلة الباشا .

عباس : دعه يرجع بعد قليل .. فالباشا الآن نائم .

سيف : لا يا سمو الأمير بل أشعره الآن . فقد أمر الباشا أن لا نتأخر فى رفع أية شكوى إليه فى أىّ حين .

عباس : ولو كان فى نومه يا كولونل ؟

سيف : نعم ولو كان فى نومه . هكذا أمر .

عباس : (**ينهض**) حسنا .. سأنبهه .

صوت إبراهيم من هذا ؟

عباس : أنا عباس .

صوت إبراهيم ادخل يا بنى .

(يدخل عباس الغرفة)

سيف : (**لنفسه**) لا يأتى هذا المتظلم إلا هذه الساعة ليزعج الباشا من نومه .

(يخرج إبراهيم باشا من الغرفة وخلفه عباس)

إبراهيم : (**للحاجب**) ادخل بالفتى يا غلام .

الحاجب : سمعا يا مولاى (**يخرج**)

سيف : ماكان لنا أن نوقظك يا مولاى لولا أمرك .

إبراهيم : خيرا صنعتما . لا بأس بتأخير النوم ولكن لا ينبغى أن يؤخر العدل .

(يعود الحاجب ومعه الفتى)

الفتى : (**متهيبا**) أيد الله مولاى الباشا .

إبراهيم : ممن تتظلم يا عبد الله ؟

الفتى : من جندى مدين لى بمجيديّين يا مولاى أتيت أطالبه فاعتدى بالضرب علىّ .

إبراهيم : ما اسمه ؟

الفتى : لا أعرف اسمه يا مولاى .

إبراهيم : أتعرف موضعه بالمعسكر ؟

الفتى : نعم يا مولاى الباشا .

إبراهيم : (**يتجه نحو باب الخيمة**) هلمّ إذاً أرنيه . واحرّ فؤاداه من هؤلاء الجنود ! أما علموا بعد أنّا ما جئنا فاتحين لهذه البلاد ولكنا جئنا منقذين (**لعباس والكولونل سيف**) اذهبا فاخطبا فى جموع الجيش بأن يلزموا الاستقامة والحسنى فى هذه البلاد ، فعار بنا أن نكون كمن أجليناهم عنها بالسيوف من القوم الظالمين .

عباس : سمعا يا عم .

سيف : سمعا يا مولاى .

(**يخرج عباس وسيف**)

إبراهيم : هيّا يا فتى أرنى الجندى الذى ظلمك .

الفتى : أيدك الله يا مولاى وأبقاك للعدل .

(**يخرج هو والفتى إلى خارج الخيمة**)

إبراهيم : امش قدّامى.(**لا يكاد إبراهيم يمشى بضع خطوات حتى يبرز له خالد ويظهر ثامر من خلفه**)ويل لك .. ماذا تريد ؟

خالد : (**يهم بطعن إبراهيم**) نريدك .

(**يسبقه إبراهيم ويدفعه فى صدره دفعة ألقته على الأرض بعيدا**)

ثامر : (**ينطلق نحو إبراهيم ليطعنه من خلفه**) لن يخطئك الأجل اليوم.

(يبرز نعمان فجأة فيعترض ثامرا فيصطرعان ويقعان على الأرض ويصاب نعمان بطعنة من ثامر وهو لا يعرف أنه أخوه)

نعمان : تبًّا لك يا ثامر .. تقتل أخاك من أمّك وأبيك !

ثامر : (**مدهوشا**) نعمان .. أخى ! ويل لك ، أنقذت قاتل أبيك من يدى .

نعمان : بل أنقذت من يمناك الأثيمة مولى العرب !

ثامر : (**يصيح**) النجاء يا خالد ! انج بنفسك ! .

(يلوذ خالد بالفرار ـــ يحيط الحرس والجند بثامر ، ونعمان لا يزال قابضاً على ثيابه حتى قبضوا على ثامر)

إبراهيم : (**يقترب من نعمان**) ويحك يا نعمان لماذا عرضت نفسك لهذا الخطر ؟

نعمان : (**بصوت ضعيف**) مولاى إنك وهبت الحياة لى فرددت إليك الهبة . وأعدت الحياة لأمة العرب فسيجزيك الله عنها حياة الأبد .

إبراهيم : (**لمن حوله من الحرس**) احملوه إلى غرفتى وهلموا الطبيب سريعاً .

(يحمل نعمان إلى غرفة إبراهيم باشا)

(يحضر الطبيب)

إبراهيم : بحياتى عليك يا طبيبى عالج هذا الفتى كما لو كنت تعالجنى .

الطبيب : سمعاً يا مولاى .. عسى ربى أن يوفقنى لرضاك .

إبراهيم : جعل الله فى كفيك الشفاء . (**يمضى الطبيب إلى الغرفة**) (**يقف إبراهيم باشا على باب الغرفة ينظر إلى الطبيب وهو يفحص جرح نعمان**) أهو مغمى عليه يا جناب الطبيب ؟ .

الطبيب : نعم يا مولاى .

إبراهيم : ما هذا النزيف ؟ ألا يمكن قطعه ؟

الطبيب : من تمزق فى بعض الشرايين يا مولاى . لا بد من إجراء عملية له .

إبراهيم : أيوجد أمل فى نجاته ؟

الطبيب : أرجو ذلك يا مولاى .

إبراهيم : بشرك الله بالخير . (**يقبل مساعدا الطبيب يحملان معهما بعض الأدوات الطبية وآلات الجراحة ويدخلان الغرفة**) أخبرنى حين يزول عنه الخطر .

الطبيب : سمعاً يا مولاى .

(**يعود إبراهيم باشا إلى البهو**)

إبراهيم : لا حول ولا قوة إلا بالله .. مسكين نعمان !

عباس : (**يدخل مسرعا**) الحمد لله .. لعلك لم تصب بسوء يا عم .

سيف : (**يدخل أيضاً**) لا بأس عليك يا مولاى .

إبزاهيم : لله الحمد .. لم أصب بسوء . ولكن جرح نعمان إذ وقانى بنفسه من كيد أخيه .

عباس : أخوه !

إبراهيم : نعم ، أخوه الذى يطلبنى بثأر أبيه الشيخ فهد النعسان .

سيف : أظل هذا الأثيم يلاحقنا من عكاء إلى هنا ؟ أخشى أن يكون ذاك الفتى المتظلم شريكا له فى الجريمة .

عباس : نعم يا عم لعل الأثيم هو الذى بعثه ليصطنع ذاك التظلم حتى يحملك على الخروج .

إبراهيم : ما أظن ذلك .. ولكن لا بأس يا عباس أن تبحث عنه خارج الخيمة فإن وجدته فى انتظارى فإنه برىء وإن لم تجده فقد يكون هرب خوفاً من الشبهة .

عباس : سأفعل ذلك . (**يخرج عباس هنيهة ثم يعود**) قد وجدته ينتظر يا عم .

إبراهيم : إذاً فاذهب معه فانتصف له من غريمه الجندى ومر به أن يوجع ضرباً ليكون عبرة لغيره .

عباس : سمعاً يا عم . (**يمضى**) .

(يدخل سرحان ومعه القائد التركى رشيد باشا وهو فى ملابس فلاح)

سرحان : ها قد جئتك يا مولاى بقائد جيش القوم .

إبراهيم : أين هو .. ؟

سرحان : (**يشير إلى رشيد باشا خلفه**) هو ذا يا مولاى قد تنكر فى ثياب فلاح فدللت عليه .

إبراهيم : (**مستغربا يتأمل فى وجه الأسير فيعرفه**) رشيد باشا ، أهلا بالصدر الأعظم .. مرحبا بزميلى القديم (**يمد يده إليه ليصافحه فإذا القيد فى يديه**) لا والله لا ينبغى لرشيد باشا أن يحمل القيد .

رشيد باشا : لا تعطف علىّ يا إبراهيم باشا فإن الويل للمغلوب .

إبراهيم : تلك شيمة غيرنا . أما نحن فما ينبغى للمغلوب عندنا أن يذل .

(**يحل القيد عنه بيده**)

رشيد باشا : (**يظهر عليه الامتعاض**) شكرا لك يا إبراهيم باشا .

إبراهيم : أردت أن أقول لك تفضّل بالجلوس لولا أنه يؤلمنى أن أرى زميلى الكبير فى هذه الملابس . (**يلتفت إلى الكولونل سيف**) فهل لك يا جناب الكولونل سيف أن ترافق جناب الصدر الأعظم إلى نقطة المؤن ليرتدى ما يشاء من الملابس العسكرية الممتازة ثم تعودان معا إلىّ .

سيف : (**لرشيد باشا**) تفضل يا جناب الصدر الأعظم .

(**يخرج رشيد باشا والكولونل سيف**)

إبراهيم : (**ينظر إلى سرحان**) إنك لبطل يا سرحان ..

سرحان : (**يضحك**) ألأنى قبضت على هذا الفلاح يا مولاى ؟

إبراهيم : (**يبتسم قليلا ثم يقطب فجأة**) أما علمت يا سرحان ؟

سرحان : (**فى مظهر اهتمام**) بم يا مولاى ؟

إبراهيم : بالذى حدث ..

سرحان : ماذا حدث يا مولاى ؟

إبراهيم : صديقك نعمان ..

سرحان : نعمان .. أصيب بسوء يا مولاى ؟ هل جاء أخوه الوغد ؟

إبراهيم : نعم .

سرحان : الحمد لله إذ سلمت يا مولاى من كيد الأثيم فدمت لمجد العرب .

إبراهيم : كيف علمت يا سرحان أن هذا الأثيم سيجئ هنا ؟

سرحان : قد أنذرنى نعمان بذلك فى الصباح وألحّ علىّ أن أبقى معه لحراستك يا مولاى . فياليتنى أطعته ؟

إبراهيم : أكان نعمان يعلم ذلك من قبل ؟

سرحان : لا يا مولاى ولكن نعمان كان دائما يتوقع مجىء أخيه ويخشى عليك من كيده .. أخبرنى يا مولاى أقتل نعمان ؟

إبراهيم : كلا .. لا بأس عليه إن شاء الله .. هو تحت العلاج .

سرحان : أبقى الله مولاى .. أين هو الآن لأراه ؟

إبراهيم : الطبيب يعالجه ثم فى غرفتى . (**يهم سرحان بالذهاب إلى الغرفة**) (**يستوقفه**) لا .. ليس الآن يا سرحان .. حتى تتم العمليّة التى تجرى له (**يترقرق الدمع فى عين سرحان**) لا تبك يا سرحان فلا خوف عليه إن شاء الله .

سرحان : (**هامسا**) بعض فرحك يا سرحان .. فمن يدرى ...

إبراهيم : ماذا تقول ؟

سرحان : تذكرت كلمته لى فى الصباح إذ رآنى فرحا بالنصر فقال

لى : بعض فرحك يا سرحان فمن يدرى ماذا تضمر لنا الأقدار فى هذا اليوم ؟

إبراهيم : أما إنك لشديد الحب لنعمان .

سرحان : والله ما أحببته إلّا فيك يا مولاى وفى العرب . إنه ليحبّك حبّا شديدا .

إبراهيم : أجل .. لو لم يحبنى لما فدانى بنفسه . يا ليت أخاه يكون مثله .

سرحان : أين أخوه يا مولاى ألم تقتلوه ؟

إبراهيم : كلا ... هو مقبوض عليه حتى نرى رأينا فيه .

سرحان : أشتهى أن أرى هذا المجرم وأقتله بيدى . ائذن لى يا مولاى أن أذهب إليه .

إبراهيم : لا يا سرحان . سآمر بإحضاره هنا حتى تراه بين يدى . ادع لى أحد الحرس (**يخرج سرحان ويعود ومعه الحرسى**) (**للحرسى**) اذهب فأتنى بالمجرم المقبوض عليه .

الحرسى : سمعاً يا مولاى . (**يخرج**)

(**يدخل عباس باشا**)

إبراهيم : هل عاقبت الجندىّ يا عباس ؟

عباس : نعم يا عم .

إبراهيم : لقد أحسنت .

عباس : (**يدنو من سرحان**) أهنئك يا سرحان بنجاحك فى القبض على رشيد باشا .

سرحان : شكرا يا سمو الأمير .

عباس : أين هو الآن ؟

إبراهيم : ذهب إلى نقطة المؤن ليغير ملابسه .

عباس : (**في استغراب**) ليغير ملابسه ؟

سرحان : كأنّ سيدى الأمير لم يعلم أنه جاء هنا فى ثياب فلّاح .

عباس : (**يضحك**) وددت والله لو رأيته فى تلك الحال ؛ إذاً لضحكت ملء فمى عليه .

إبراهيم : إيّاك يا بن أخى أن يرى منك رشيد باشا شماتة أو سخرية به ، فهو رجل عظيم وزميل لعمّك قديم .

عباس : عفوا يا عم . لم أملك نفسى إذ سمعت هذا الخبر أن ضحكت ولن أصنع ذلك فى حضرته .

(يعود الكولونل سيف ومعه رشيد باشا وهو فى زى عسكرى فاخر)

إبراهيم : (**يتلقى رشيد باشا**) تفضل يا رشيد باشا ..

رشيد : شكرا .

إبراهيم : (**يقدم له عباس باشا**) هذا الأمير عباس باشا ابن أخى .

رشيد (**يصافح عباسا**) أهلا بك يا عباس باشا .

إبراهيم : تفضلوا (**يجلس الجميع . إبراهيم باشا ورشيد باشا فى صدر البهو**) (**لرشيد باشا**) أرجو أن تكون كما تحب يا جناب الصدر الأعظم .

رشيد : أنا عاجز عن شكرك يا جناب الباشا على كرمك .

إبراهيم : أستغفر الله . بل أنا العاجز عن شكرك على هديتك القيمة،

رشيد : إنك تشكرنى على شيء لم أفعله .

إبراهيم : (**يبتسم**) بلى .. إنك أهديتنى ... (**يلتفت إلى الكولونل سيف**) كم مدفعا يا كولونل ؟

سيف : اثنين وتسعين مدفعا يا مولاى .

إبراهيم : (**لرشيد**) وغيرها من الذخائر والمؤن . أفلا أشكرك عليها يا جناب الصدر الأعظم ؟

رشيد : (**كاظما غيظه**) إنها قليل من كثير عندنا يا جناب الباشا.

إبراهيم : إننا لا نستغنى عن ذاك الكثير . فلعل خلفاءك من القواد لا يبخلون علينا بالمزيد .

رشيد : إن خلفائى قد يستردّون الهدية التى تشكرنى عليها اليوم فلا أستحق هذا الشكر حينئذ .

إبراهيم : قد ورد فى الحديث الشريف أنّ العائد فى هبته كالعائد فى قيئه ، وإن محافظتى على كرامة خلفائك تمنعنى أن أمكنهم من إتيان هذا الأمر الذى لا أرضاه لهم .

رشيد : إن كنت لا ترضى لهم هذا فقد يطمعون أن تهديهم من قليل ما عندكم .

إبراهيم : إنا نضنّ بعتادنا القليل أن نهديه لغيرنا ولسنا كرماء مثلكم .

رشيد : صدقت . إنا لنظلمكم حين نطلب إليكم أن تهدونا من قليلكم وعندنا الكثير الذى لا يحصى .

إبراهيم : لعلك لا تخالفنى فى أنّ القليل الذى يضمّ إليه دائما من غيره أكثر من الكثير الذى يؤخذ منه دائما لغيره .

رشيد : إنا لا نكثركم بعتادنا فحسب ولكنا نكثركم أيضا بجيوشنا .

إبراهيم : إننا معترفون بأن جيوشكم أعظم من جيشنا عددا . وكيف نكابر فى هذه الحقيقة وقد لقيتمونا فى معركة أمس بثلاثة أضعاف جيشنا . وكان هذا حالكم معنا فى كل المعارك السالفة ؟ لا والله لا ننازعكم هذا الشرف أبدا .

(**يدخل الأمير بشير الشهابى ومصطفى أغا بربر**) .

بشير : السلام عليكم .

إبراهيم : (**ينهض من مقعده ليستقبل القادمين**) وعليكم السلام ... أهلا بالأمير بشير الشهابى .. أهلا بمصطفى بربر (**يصافحهما**) يسرنى أن أقدم إليكما جناب الصدر الأعظم رشيد باشا ضيفنا العزيز .

بشير ومصطفى : (**يصافحان رشيد باشا**) تشرفنا يا جناب الصدر الأعظم .

إبراهيم : تفضّلا .. مرحبا بكما .

(**يجلسان عن يمين إبراهيم باشا ورشيد عن يساره**)

بشير : لسنا ندرى أنهنىء أمير العرب بالنصر الباهر أم بالسلامة من كيد المغتال الأثيم ؟

مصطفى بربر : بل نهنئه بكلا الأمرين وباستقلال العرب .

بشير : بل نهنىء أنفسنا بسلامة أوطاننا فى سلامة منقذها الأكبر.

إبراهيم : بارك الله فيكما وفى أمثالكما من زعماء العرب فى فلسطين والشام فما أحرزنا النصر إلّا بفضل الله وفضل

تأييدكم لنا فى وقائعنا بالزراعة وعكاء ودمشق وحمص وبيلان .

بشير : إن أرواحنا — بله ما تحت أيدينا من أموال وضياع — بين يديك تتصرف فيها كيف تشاء .

إبراهيم : قد أتتنى رسائلكم المهنئة بانتصارات جيشى فكانت سلاما على قلبى . فعلام تجشمتم بعدها كل هذه الصعاب لتهنئتى ؟

بشير : لم نملك أنفسنا فرحا إذ سمعنا بنصرك فى قونيه أن شددنا إليك الرحال وجبنا لك الأميال لنشهد يوما لا مثيل له فى حياة العرب سيبقى على مر الأجيال .

مصطفى بربر : ولكنى آسف يا مولاى أنّ تهانئى ردّت إلىّ .

إبراهيم : أكانت مكتوبة باللغة العربية ؟

مصطفى بربر : لا يا مولاى الباشا بل باللغة التركية .

إبراهيم : أما للعرب لسان نعتز به يا مصطفى بربر حتى تكتب لى بلسان غيرهم ؟

مصطفى بربر : بلى يا مولاى ولكنى جريت على السنّة المتبعة من قبل .

إبراهيم : إنما كانت هذه سنّة متّبعة فى العهد البائد . ذاك يا مصطفى عهد قد تولىّ لغير رجوع .

مصطفى بربر : اعذرنى يا أمير العرب إذ غاب عنى أن أرعى هذا الأدب .

إبراهيم : قد يعذركم من يعلم كم طال هذا الهوان عليكم فأنساكم مجدكم ومآثر آبائكم . عجبا للعرب ـــ عجبا والله يستدّر الأسى والعطف عليهم كيف يستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟ ويحهم يعيشون فى مصر ودمشق وبغداد ثم ينسون لغة المعرّىّ والمتنبّى وسيف بنى حمدان !

بشير : صدقت يا أمير العرب ، إن حياة الأمة بحياة لسانها.

(**يدخل الحرسى ومعه ثامر والقيد فى يديه**) .

إبراهيم : (**يشير إلى ثامر**) انظروا يا أصدقائى ... هذا النعسانىّ الذى أراد اغتيالى اليوم فوقانى منه أخوه.(**ينظر الجميع إليه مشمئزين**) هو ذا يا سرحان غريمك الذى طعن صديقك نعمان.

سرحان : (**ينهض من مقعده**) لو أذنت يا مولاى فقتلت هذا الأثيم بيدى.

إبراهيم : لا تعجل يا سرحان .. سنفصل فى أمره .

ثامر : (**ينظر إلى سرحان**) اقتلنى يا هذا إن شئت . فهو أحب إلى نفسى من هذا القيد المذلّ .

سرحان : عار على مثلى أن يقتل مثلك فى القيد ..

ثامر : إنّ مثلك لأحقر أن يستطيع قتل مثلى إلّا وأنا فى القيد .

سرحان : (**لإبراهيم باشا**) هل لك يا مولاى أن تأمر بإطلاق هذا المجرم الأثيم ليبارزنى بالسيف فأقتله شرّ قتلة ؟

إبراهيم : (**باسما**) ما يدريك أنى لا أعفو عنه يا سرحان ؟

سرحان : تعفو عن هذا الأثيم يا مولاى ؟

إبراهيم : نعم .. كما عفوت عن أخيه الذى حاول اغتيالى من قبل .

سرحان : لك يا مولاى أن تنزل عن حقك ولكنى لن أنزل عن حقى ، فقد أهان هذا الرجل شرفى . وعدلك يأبى أن يعفى عن هذا المسىء ويظلم هذا البرىء ، فدعنى أقتله أو يقتلنى .

إبراهيم : إنك لأعز علىّ من أن أمكنه منك .

سرحان : أتخشى أن يغلبنى هذا يا مولاى ؟

إبراهيم : كلا يا سرحان ، ولكنه رجل يتوقع القصاص فهو مستميت وأنت فى سعة عن مبارزته .

سرحان : لم أعد كذلك يا مولاى بعد أن تحدانى وأهاننى . فإن قتلته شفيت غليلى منه وأوردته ما استحق ، وإن كانت الأخرى فقد غسلت العار الذى ألحقه بى .

إبراهيم : إننا بعد فى حاجة لبلائك يا سرحان . أما كنت فى شوق لليوم السعيد الذى يتحقق فيه خلاص بلاد العرب ؟

سرحان : بلى يا مولاى .

إبراهيم : فها نحن أولاء نشارف ذاك اليوم السعيد .

سرحان : أجل .. سأموت قرير العين بتحقيق مولاى ذاك الرجاء وفى هذا ما يعزينى وكفى .

إبراهيم : نفسى لا تطوّع لى أن أفقد قوة مثلك .

سرحان : ستجود العرب بأرواحها فى سبيلك يا مولاى وفيها أىّ غنى لك من مثلى .

إبراهيم : كلا ... لا أستغنى عن أصغر رجل فى الجيش ، وأنت وسائر أفراد الجيش ملك لمصر وللوطن العربى الأكبر لا ملكى.(**يخرج الطبيب من الغرفة إلى البهو**) ما وراءك .. ؟ بشّرنا .

الطبيب : قد تمت العملية يا مولاى وزال عنه الخوف .

إبراهيم : الحمد لله ، هل أفاق من غشيته ؟

الطبيب : نعم يا مولاى وهو يسأل عن سرحان .

سرحان : الحمد لله .

الطبيب : ويسأل أيضاً عن ثامر .

ثامر : عنى أنا ؟ مسكين أنت يا نعمان (**يبكى**) .

سرحان : (**لثامر**) عنك يا هذا ؟ عن قاتله ؟

إبراهيم : عن أخيه يا سرحان .

سرحان : (**للطبيب**) أفى وسعى أن أراه الآن ؟

الطبيب : نعم فى وسعكما .. لكن لا تطيلا المكث لديه ولا تزعجاه (**ينطلق سرحان إلى جهة باب الغرفة ويتبعه ثامر ويتقدمهما الطبيب**) ادخلا بهدوء .

سرحان : (**يلتفت إلى ثامر**) فيم جئت هنا ؟

ثامر : لأراه يا سرحان معك .

سرحان : ألتقتله مرة أخرى ؟ لا والله لا تدخل .

ثامر : (**يريه القيد فى يديه**) كيف أقتله ؟ أما ترى القيد فى يدىّ ؟

الطبيب : لا تختصما فإن أعصابه لا تتحمل هذا الشجار .

نعمان : (**يسمع صوته من الغرفة**) سرحان ... ادخل يا سرحان ودع ثامراً يدخل معك .

سرحان : الحمد لله .. هذا صوت نعمان .

الطبيب : (**يفتح الباب**) ادخلا بهدوء .

(**يظهر نعمان مسجى على سريره فى الغرفة**)

سرحان : (**يقبل رأسه**) الحمد لله .. أنت بخير يا نعمان .

نعمان : نعم أنا بخير يا سرحان .

سرحان : لله الحمد .. لقد خشيت يا صديقى عليك .

نعمان : لو مت لكان قليلا لمولاى إبراهيم باشا .

سرحان : ولكن كان يكون كثيراً على صديقك سرحان .

نعمان : (**ينظر إلى ثامر**) وعلى أخى ثامر أيضا .. أقبل يا ثامر أقبل إلىّ .

ثامر : (**يتقدم إليه**) نعمان .. أخى .

نعمان : (**يشير بيده**) تعال ادن منى .

ثامر : (**ينحنى عليه فيقبله على جبينه**) أخى .. أخى .

نعمان : ماذا فى يديك .. ؟ القيد ؟ كثير هذا على ثامر . أين مولاى إبراهيم باشا .. أفى وسعه أن يجىء هنا لأراه ؟

سرحان : سأقول له كى يجىء (**يخرج من الغرفة**) .

نعمان : (**لثامر**) لكنك تستاهل أكثر من هذا .. كيف تروم أن تقتل منقذ قومك يا ثامر ؟

ثامر : سامحنى يا أخى .. قد ندمت على ما فعلت .

سرحان : (**لإبراهيم باشا في البهو**) يشتهى نعمان أن يراك يا مولاى .

إبراهيم : حبّا وكرامة . (**ينهض إلى الغرفة ويتبعه سرحان**) (**لنعمان**) لعلك بخير يا نعمان ..

نعمان : في ظل عطفك يا مولاى ... ألا تعفو عن أخى ثامر ؟

إبراهيم : لقد عزمت على أن أعفو عنه .

نعمان : أطال الله بقاءك يا مولاى .

إبراهيم : ولكن سرحان لم يرضه منى .

نعمان : (**ينظر إلى سرحان**) فيم يا سرحان ؟ أأنت شديد الوجد على ثامر ؟

سرحان : كيف لا وهو يقصد مولاى إبراهيم بسوء وقد كاد يودى بك ؟

نعمان : إنه قد ندم يا سرحان .. أما ترى دمعه يتحادر من عينيه ؟

سرحان : بل جبان يخاف الحكم عليه بما اجترحته يداه .

نعمان : كلا يا صديقى .. إن ابن فهد ليس بمن يتهيب وجه الموت .

سرحان : لقد شئته أن يبارزنى بالسيف فإما أقتله أو يقتلنى .

ثامر : (**لإبراهيم باشا**) مولاى .. ألا تحلّ قيدى ليبارزنى سرحان .

نعمان : تبالك يا سرحان ، أتريد أن تسوء إلىّ ؟ أما تعلم أنك إن بارزته فستفجعنى إما فى صديقى أو فى أخى ؟ إنك تبغى مراغمتى يا سرحان .

سرحان : لا والله لا أبغى مراغمتك .
إبراهيم : حلّ يا سرحان وثاق أخيك فإنكما أخوان .
سرحان : سمعا يا مولاى (**يحل وثاق ثامر**) .
إبراهيم : وأنت فصافحه يا ثامر .
ثامر : سمعا يا أعفى الناس وأكرمهم . (**يمد يده إلى سرحان فيتصافحان**) (**لإبراهيم باشا**) شكرا يا معز العرب ومنقذهم ، والله لأفتدينك ويفتدينك بنو النعسان جميعاً معى ونكوننّ جنداً نقاتل تحت لوائك من قاتلت وأنى شئت إلى أن نذوق الموت .
إبراهيم : (**يتهلل وجهه بشرا**) بارك الله فيك يا ثامر (**ينظر إلى نعمان فيراه يبكى**) ما يبكيك يا نعمان ؟
نعمان : سرورى يا مولاى .
إبراهيم : استرح الآن .. أتم الله عليك الشفاء .
نعمان : وأدام لمولاى النصر والتأييد .
إبراهيم : (**لسرحان وثامر**) هلما معى ... دعاه يستريح (**يخرج إلى البهو**).
نعمان : (**لثامر**) أخى .. كن أمينا لمولاى إبراهيم .
ثامر : اطمئن يا نعمان .
نعمان : (**لسرحان**)والله يا سرحان ما فرحت كاليوم قطّ .
سرحان : سيزيد فرحنا يا نعمان حين يتم شفاؤك .
نعمان : أقبضت على القائد التركى ؟
سرحان : نعم .

نعمان : كيف ؟

سرحان : سأقص عليك خبره فيما بعد . أما الآن فاستريح .

(يخرج هو وثامر إلى البهو) .

نعمان : (**لنفسه**) نفذت مشيئتك يا سرحان ... ونفّذ القدر مشيئته .

(يدخل الطبيب إلى نعمان فيجس جبينه ويصلح الغطاء عليه)

الطبيب : أنت فى حاجة للراحة التامة فنم واسترح .

(يغمض نعمان جفنيه ويخرج الطبيب من الغرفة ويغلق الباب على نعمان وينصرف لسبيله)

إبراهيم : (**يشير إلى سرحان وثامر وقد جلسا معا يتحدثان**) انظروا إلى هذين الخصمين كيف صارا صديقين حميمين .

سيف : لا عجب يا مولاى فقد جمعهما حبك .

بشير : الحب الذى جمع العرب عليك .

إبراهيم : (**يلتفت إلى رشيد باشا**) ألا تعجب يا جناب الصدر الأعظم من حبهما لى وقد قتلت والد أحدهما ودمّرت بلاد الآخر إرضاء لسلطانك الناكر للجميل ؟

رشيد : إن ذكرت جناب السلطان اليوم بسوء فلربّ يوم كنت فيه يا جناب الباشا تقاتل معى تحت لوائه .

إبراهيم : لعلك تشير إلى أيامنا فى ميادين اليونان . أما تزال تذكرها ؟

رشيد : كيف لا ؟ تلك أيام خالدة .

إبراهيم : أيذكرها سلطانك أيضا ؟

رشيد : ومن ينساها وينسى بلاءك فيها وإقدامك ؟

إبراهيم : كلا ... بل نسيتم جميل أبى ونفستم عليه الفخار الذى حلّاكم به .

رشيد : أؤكد لك يا جناب الباشا أن مولانا السلطان إن ساءه ما ساءه من الباشا أبيك فإنه يقدر خدماتك قدرها ولا ينساها أبدا .

إبراهيم : إنما أنا سيف أبى أيّده الله وقد سلنى مرتين لإغاثتكم فى نجد وفى اليونان على أن يجزيه السلطان ولاية الشام ، فماذا كان جزاؤنا ؟ كان جزاؤنا أن حمل العلماء على الإفتاء بتكفيرنا وإعدامنا تمهيدا بذلك لانتزاع مصر نفسها من أيدينا .

رشيد : ليس ثم ما يبرر هذه المخاوف فلم يكن قطّ فى نية مولانا السلطان أن ينتزع مصر من أيديكم .

إبراهيم : (**يخرج طومارا من جيبه**) ما رأيك فى هذا الفرمان الذى وجدناه فى خيمة المشير حسين باشا الذى هزمناه قبلك ؟ (**يقدمه لرشيد باشا**) اقرأه يا جناب الصدر الأعظم تجد سلطانك يجعل ولاية مصر لذاك القائد المهزوم .

رشيد : (**ينظر إلى الفرمان ممتعضا**) إنه لم يصدر هذا إلّا بعد أن خلعتم طاعته وخرجتم لقتاله .

إبراهيم : ونحن لم نخرج لقتاله إلّا بعد أن نصحناه وأنذرناه فلم يجد فيه النصح ولا الإنذار . ولعله بعد أن ألغينا الفرمان الأول كتب لك فرمانا جديدا بولاية مصر . ألا تريني يا جناب الصدر الأعظم هذا الفرمان ؟

رشيد : إن مولانا السلطان انتدبني للدفاع عن حوزته فخرجت نزولا على طاعته لا طمعاً في وسام أو فرمان .

إبراهيم : كان على السلطان أن يعطيك فرمانا بولاية مصر لتخلص في قتال صاحبها كما فعل مع حسين باشا . ولعله لو فعل ذلك لكنت نجحت في هزمنا .

رشيد : سترى أن هزيمتنا إن هي إلا هزيمة مؤقته وليس سببها ما ذكرت .

إبراهيم : أتعني أن لديك هذا الفرمان ؟

رشيد : نعم .

إبراهيم : ألا تريني إياه يا جناب الصدر الأعظم ولك عهد الله أن أعيده إليك .

رشيد : ليس لأحد يا جناب الباشا أن يطالبني بهذا في موقف كهذا الموقف .

إبراهيم : إنما أشفقنا على السلطان محمود مما أتعب به نفسه من كتابة الفرمانات التي لا تكاد ترحل عنه بضعة فراسخ حتى تلغى وحتى يستحي حاملها من إبرازها !

رشيد : كلا يا جناب الباشا ، إن فرمان السلطان لتكرمة لحامله .

فإن سرّك أن تراه فها هو ذا لتعلم أنى لست أستحى من إبرازه كما ذكرت .

(يخرج الفرمان ويقدمه لإبراهيم باشا)

إبراهيم : (**ينظر في الفرمان**) يا له من فرمان عظيم .. لو نفذ . يعزّ عليّ والله أن أرى فرمانات السلطان تلغيها السيوف مرة بعد مرة،ليت شعرى لمن سيكون الفرمان التالى ؟

(يعيده إلى رشيد باشا)

رشيد : إن فرمان مولانا السلطان لا يضرّه أن يلغى مرة بعد مرة لأنه سينفذ فى النهاية .

إبراهيم : لقد رثينا لسلطان المسلمين من تعبه وضننّا بكرامته ، فإن أبى إلّا إتعاب نفسه وتعريض كرامته للهوان فليمض فى ذلك ولينثر لنا ما بقى فى كنانته . ولعله لن يجد فيها أمضى من المشير حسين باشا مبيد الانكشارية أو أقوى من الصدر الأعظم رشيد باشا بطل الأبطال فى حروب موره !

رشيد : إنك تذكر كرامة سلطان المسلمين يا جناب الباشا وأنت تعرف من عرضها للهوان الذى أشفقت عليها منه .

إبراهيم : إن على سلطان المسلمين أن يحتفظ هو بكرامته بالعدل والإنصاف والوفاء بالعهود والمواثيق والنصح للمسلمين . وليس له أن يطالب الناس بحفظها له إذا هو قصّر فيما يجب عليه .

رشيد : الكلّ يعلم أن مولانا السلطان ـــ أيده الله ـــ لم يقصّر فى

واجبه ، فما قام بما قام به إلا خوفا من افتراق كلمة المسلمين .

إبراهيم : هذا والله عجيب . ألكي يجمع كلمة المسلمين استنجد بدول الغرب على المسلمين ؟ إذاً فلينعم السلطان بالا ، إن الدول الأجنبية ستحميه من سطوة أبناء الإسلام !

رشيد : إنما أراد الصلح بذلك لحقن الدماء .

إبراهيم : أبعد ألوف الجنود التي أفنيناها منكم ؟ هلا كان ذلك منه وفيكم دماء تحقن بعد ؟

رشيد : إن قوات السلطان لم تبد بعد ، وفي وسعه — لو شاء — مواصلة الحرب .

إبراهيم : فعلام استنجد الدول الأجنبية إذن لتحميه منا ؟

رشيد : إنما فعل ذلك لكي يحملكم على قبول الصلح .

إبراهيم : أتخيفوننا من دول الغرب ؟ ألا فاعلموا أننا لا نخاف أساطيلهم في البحر ولا جيوشهم في البر ، وقد رأيناهم في اليونان كيف يقاتل أبناء وادي النيل . وبعد فإني قد وقفت الزحف نزولا على أمر مولاي محمد علي باشا صاحب مصر أيده الله . فإن شئت يا زميلي القديم أقمت بيننا في عزة وكرامة وإن اخترت الرجوع إلى بلادك يا جناب الصدر الأعظم شيّعت معك من يوصلك إلى مأمنك .

رشيد : شكراً يا جناب الباشا . أما وقد خيرت فإني أختار الأمر الثاني .

إبراهيم : إذاً فبلغ تحياتى لجناب السلطان وأخبره بأن الصلح سيعقد بيننا وبينه وسنرعاه ما رعاه ، فإن ينقض عهده فجنودى بالمرصاد ولن تقف الزحف حينئذ دون اسطنبول (**يلتفت إلى عباس باشا**) أليس كذلك يا عباس ؟

عباس : بلى يا عم . لن يصدنا عنها حينئذ حلفاؤهم الأجانب . إننا لم نكن فى يوم من الأيام بأقوى منا اليوم وقد هبّت أوطان العروبة قاطبة تحت العلم المصرى تسير إلى حيث يدعوها ماضيها المجيد .

إبراهيم : (**لرشيد باشا**) ها أنت يا جناب الصدر الأعظم قد رأيت بعينيك الروح العربية كيف سرت فى البلاد . فلا تحاولوا أن تطفئوا بأفواهكم جذوة أوقدتها يمين الله ! (**يلتفت إلى الآخرين**) يا بنى مصر والشام — يا بنى العرب أترضون أن ترجعوا للذل ؟

الجميع : معاذ الله ! معاذ الله !

سرحان : لأطيب من ذاك يا مولاى الموت .

بشير : إنّا قد خلعنا ذاك النّير عنا بكفّك يا بن محمد علي باشا ، أفنحمله فوق أعناقنا مرة أخرى ؟

عباس : كلا .. دون هذا وتنهدّ أسوار اسطنبول !

مصطفى بربر : (**يهتف**) يعيش إبراهيم باشا منقذ العرب !

الجميع : (**ما عدا رشيد باشا**) يعيش إبراهيم باشا منقذ العرب !

إبراهيم : (لرشيد باشا) أرجو يا جناب الصدر الأعظم أن تنصح رجال الحكم باسطنبول بأن يطردوا منذ اليوم من رؤوسهم فكرة استعباد بلاد العرب . قد أعتقها الرحمان فلن يستعبدها أجنبى بعد اليوم .

سيف : هذا حلم نابليون تحقّق يا مولاى !

إبراهيم : لا بل حلم إبراهيم وحلم العرب !

رشيد : قد لا يتحقق هذا الحلم غدا ، فغد بيد الله يا جناب الباشا .

إبراهيم : لا أجهل يا جناب الصدر الأعظم أن الغد بيد الله . ولكن الله القوىّ العزيز قد ابتعث الروح العربية من رمسها فهى باقية لن تموت . وإذا لم يتم على عهدى ما أردت من وحدتها العظمى فلسوف يحققها بعدى بطل من أحفادى .

« ستار الختام »